

بحوث ومحاضرات

تلك : أمة تقدّس لغتها*

للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

يعيب من يودّ لو كان في عداد كتبة التاريخ
- على هوى زعيم أو محرّض - على التاريخ
الإسلامي أنه تاريخ قادة ومحاربين لا تاريخ
نضال وشعوب .
أرونى شعبا سار بلاقادة ، أو أمة ثارت بلا
دعاة ، وهل اندفعت جماهير من العامة مرة ،
بلا محرّض على الاندفاع ؟ أو هل قامت نهضة
ليس لها من يدعو إليها ، صراخا كانت
دعوتهم ، أم كانوا من المؤمنين ، سجل التاريخ
أسماءهم أم كان من الغافلين .
إنى متحدث ، سادتي الأجلاء ، عن عصر
شعر العرب فيه أنهم تأخروا عن ركب الحضارة ،
الحضارة التي عرفها أجدادهم ، فكانوا حملة
لوائها مسجلين الريادة للإسلام فيها ،
كما تيقنوا أن لا بد من نهضة علمية متواصلة
يجدد الحفدة معها ريادة الأجداد يوم كانوا
بالإسلام أعزة .
كان محمد بن محمود البزم واحدا من أربعة
شعراء دماشقة من فحول شعراء العربية أعضاء
المجمع العلمي العربي^(١) ، عقدت لهم راية
تأجيج النهضة العربية وقد اندلعت نيرانها
أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .
كان البزم نحويا^(٢) واسع الاطلاع على
مفردات العربية ، كثير المحفوظ من الشعر ،
أديبا بديع الترسل والإنشاء ، نقّادا لاذع النقد
وخازا ، قوى الحجة ، طلق اللسان ، يدرّس
العربية في الصفوف الدنيا من ثانوية دمشق
الرسمية^(٣) ووجد أربعتهم في الصحافة

* ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ١٧ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢٩ من مارس
(آذار) سنة ١٩٩٤ .

- (١) الشعراء الثلاثة الباقون هم : خير الدين الزركلي وخليل مردم بك وشفيق جبري ، وفي أعلام الزركلي ترجمة لكل واحد منهم .
(٢) - انظر ترجمة محمد البزم في أعلام الزركلي ج ١ ص ٩١ الطبعة الخامسة وأعلام الفن والأدب للجندى ج ٢ ص ١٣٢ .
(٣) كان اسمها (مدرسة التجهيز ودار المعلمين) ويطلق عليها اسم (مكتب عنبر) انظر مكتب عنبر لظافر
القاسمي و(الثورة والنار في مكتب عنبر) لمطيع المرباط و(مكتب عنبر روح دمشق الوطنية) لعدنان الخطيب .

والمجلات الأدبية متنفسا لما ران على صدورهم
من ضغط السادة الحكام^(١).

كان الشاعر الكبير محمد البزم محبوبا لدى
الأوائل من تلامذته لفضله وسعة معارفه ،
ومهابا لدى سائر من دخل الصف لحضور درسه
من تلاميذه أو تلامذة الصفوف الأخرى لايحاول
أحدهم العبث حتى ولا الهمس مع جاره .

وكان النجباء من تلامذة البزم يجلون علمه
ويقدرون أغوار معلوماته فيصنفونه الأول بين
الشعراء الفحول الأربعة مدرسى العربية ، وقد
يتنازل بعضهم فيحلون له المحل الثانى وقد
يتساهل أفراد فيثلاثونه ، ولكن قد لاتعثر على
واحد يقنع بأنه رابعهم .

ولفت الطالب « رفيق » انتباه أستاذه
الشاعر الكبير بسرعة تصديه للإجابة عما
يُسأل عنه ، كما كان يقيم لغته عندما يتكلم ،
استعاد الأستاذ مرة جواب تلميذه وقال : كأنك
تجيبنى شعرا فكلامك موزون ، فرد « رفيق »
يقول : تنقصنى الأناة ويلزمنى اختيار الألفاظ
ليكون شعرا لا عيب فيه .

(١) كان الاتحاديون فى أواخر العهد العثمانى قد اغتصبوا السلطان وفرضوا سيادتهم على بقية الشعوب .

وخاف الشاعر الكبير أن يكون الإبداع لدى
هذا التلميذ الصغير محسوبا على ضعفه فى
العلوم الأخرى ، كعادة المبدعين من الأدباء ،
فافترص التثام شمل الأساتذة فى غرفة
جلوسهم ، وأخذ يحدثهم عن نابغة العربية
الصغير ، فانبرى أستاذ الرياضة يقول : بأن
الطالب الذى ألمعت إلى اسمه يكاد يكون أول
رفاقه فى الرياضيات ، وأيد أساتذة آخرون
مقولة زميلهم وأشادوا بالعبرة المبكرة .

واجتاز رفيق امتحان البكالوريا بتفوق رائع
فانتسب مباشرة إلى كلية الحقوق عازفا عن
الطب إذ كان يرتعد إذا ما رأى الدم يسيل .

ودهش أساتذة القانون عندما رأوا تلميذهم
الجديد وسمعوا فكره النير ، وبعض تحليلاته
المنطقية الرائعة ، ولما اجتاز رفيق مسابقة
الدخول إلى وزارة الخارجية ألحقة تفوقه بالسلك
السياسى فيها ، وفى السلك تدرّج ، فإذا
بفرنسيته فى باريس تغدو مشار إعجاب
وتقدير الفرنسيين ، كما غدت إسبانيته فى
مدريد ، ثم إنكليزته فى لندن .

وتسّم رفيق منصب السفير لدى حكومة الولايات المتحدة وظل فيه ناجحاً إلى أن أحيل إلى التقاعد ، ولكنه لم يقعد عن قراءة المهمّ مما تصدره دور النشر العالمية وعن كتابة الأدب وقرض الشعر ، حتى ضُمنت مكتبته مجموعات عديدة فيها من النثر كل بحث طريف ومن الشعر كل مستظرف لطيف ، ولا يعوزها إلا التنسيق والدفع بها إلى إحدى دور النشر ليراها الناس ويعرفوا صاحبها ويتمتعوا بالشهد فخر الأتاب .

كتب رفيق نقداً حديثاً عن الشاعر الوأواء دمشقى من شعراء القرن الرابع الهجرى^(١) وقد أتاح له التقدم الكبير الذى بلغ شأوه فى علوم اللسانيات ، النقد الفنى الخالص ، المسند إلى النصوص الموروثة دون نظر إلى عامل البيئة والزمان فكان يصف حال دمشق بقوله : « كان الإخشيدون والحمدانيون ، والقرامطة ، والفاطميون ، والمغاربة ، والروم ، يتنازعون السيطرة على دمشق وما حولها ،

ويحمل هذا التنازع للمدينة الأسيرة المصائب والأهوال » .

ثم يقول : « شاعرنا من أبناء دمشق ، هذه التى كانت قبل ثلاثة قرون عاصمة الخلافة الأموية ، ثم انتقل مركز الثقل منها إلى بغداد وعَرتُها الخطوب تلو الخطوب فكانت تخرج منها فى كل مرة ، كليلة متحسرة ، دون أن تفقد مع ذلك - ومهما اشتدت عليها البلوى - الأمل فى النهوض من العثار ، بل كان أهلها يخرجون من كل محنة وقد صقلتهم الآلام وجعلتهم كبار النفوس ، فزادوا استمساكاً بقدسيّة التراب والمحافظة على التراث ، وأداء الرسالة ، مع التكيّف الكيس مع ما يأتى به من أفراح وأتراح .

" على أن دمشق ظلّت مدينة الإشعاع ، تعبرُ عبقرياتها التخوم والبحار ، لتنشر رسالتها بهمم قوادها وعلمائها وأدبائها الهاريين من غدر الأعداء وكيد الموالى ، وظلم الأقارب ، رسالتها فى التوحيد وإقامة العدل ،

(١) الوأواء من شعراء القرن العاشر للميلاد - انظر ترجمة : محمد بن أحمد الغسانى الدمشقى فى أعلام الزركلى ج ٥ ص ٣١٢ وديوانه جمع وتحقيق سامى الدهان ، مطبوعات مجمع دمشق سنة ١٩٥٠ ومجلة مجمع دمشق ٢٥ : ٥٧٨ .

وإعمار الأرض ونشر الحضارة تتبلور على
الأخصّ في إشادة معجزة الأندلس ، فيصل هذا
الإشعاع إلى أواسط أوربا بعد ما توسّع في
القارة الآسيوية وشمالىّ القارة الإفريقية .

ورأى رفيق وهو يكتب عن الوأواء - وقد
وهبه الله شاعرية رفيعة على وضاعة نشأته -
أن يرسم بقلم الفنان المصور مراحل انتقال
الوأواء من الحارة الضيقة من حارات دمشق
القديمة ، ضمن مشاهد فنية ممتعة تخلب
الأنظار وتستولى على الألباب ، فيحدثنا في
مشهد عن نضج الشخصية المبكر وفي مشهد
لاحق عن الإحساس بالشاعرية ، ثم عن
البدايات الشاعرية ، وبعد أن يصف لنا
العاصفة التى ألت بالشاعر مقارنا شعره بشعر
(بول فرلين) الألمانى الأصل الناطق بالفرنسية ،
ثم يصف اتصال الشاعر الدمشقى بالأمير
المعجب ويصف المواجهة التى قمت بينهما ،
وتهافت الثواب وتفاقم العقاب ، إلى أن حلت
عليه عشية سماها « لذة الدنيا » وكيف تم له

اقتناصها ، وفى مشهد أخير يصف لنا التوبة
النصوح والاعتراف بالزلة مستسلما لحكم الله
طالبا الغفران والرحمة .

ولم يكتف رفيق بنشاط أدبى محدود ، إذ
كان نشاطه متعدد الجوانب متنوع الاتجاهات ،
لقد شارك قبل أسابيع معدودات فى تأبين
فقيه مجمع دمشق المهندس وجيه السمان كبير
لجان المجمع العلمية ، فكانت كلمته رائعة
وافية جال فيها وصال فى موضوعات استلفتت
أنظار السامعين بما حشاها من نواحٍ جديدةٍ
وطرائفٍ مستملحة^(١).

لقد جاء فى كلمة رفيق التى ألقاها ، باسم
أصدقاء الفقيه ، مقاطعٌ رائعةٌ ، منها المقاطعُ
التالية^(٢):

"إننا نجتمع اليوم شاكرين لمجمع اللغة
العربية هذه البادرة المحمّلة بالمعانى السامية ،
بعد هذا الرزء ، ليحلّ محلّ الدموع - ولم ترقأ
بعد - استذكّار لما خلف الفقيه من مآثر ،
وإنهاضاً للهمم كى تتأسى مثاله النموذجى ،

(١) انظر مجلة مجمع دمشق مج ٦٨ ج ٣ سنة ١٩٩٣ وكان الفقيه قد توفى فى ١٧ من أغسطس ١٩٩٢ .

(٢) انظر ص ١١ من كتيب حفل التأبين وهو من مطبوعات المجمع .

وتدبراً للفراغ الكبير الذى أرثه افتقادنا قلبه
الكبير ، كيف الحيلة فى ملئه "

" ذلكم فتى يقبل بكل جوارحه على تلقف
العلوم والرياضيات بنهم وشغف ، ينضج
بالجهد الساهر نبوغاً مبكراً ، يؤهله لمتابعة
الدراسات العالية فى أشهر المعاهد الهندسية
الفرنسية . وإذ يعود للوطن بعد أن يقطع
مراحل الإعداد لتسنى الخدمة العامة ، يُخرجُ
الفوجَ تلوَ الفوج من الطلاب المتمكنين من
العلوم ، بفضلِ تدرسه وتوجيهه ورعايته ،
يرفدُ بهم صفوفَ العاملين بنجاح فى بناء
المجتمع والدولة العصرية " .

" .. يتسم عهد وزارته وإسهامه الغنى ،
باكتشافه النفط واستثماره وتصفيته وتمديد
أنابيبه ، تأسيس مستودعاته وتنظيم تسويقه ،
كما يتسم بإشادة الصناعات الكبرى .. " .

" كلُّ يومٍ من أيام فقيدنا مملوءٌ بجلال
الأعمال ، وعمق التأملات الروحية معاً . لتراه فى
مطلع الفجر متعبداً ، يتلو بخشوعٍ وتمعنٍ وقظةٍ فى
الفكر والقلب والحس ، آيات القرآن الكريم مستدبراً
معانيها يحفظُ منها الروائع والحكم - وكلها

والأحاديث الشريفة ترفدها - حكمٌ وروائع ،
ويتملأ بقدرٍ ما يسمح الوقت الطائر من الآداب
العربية صفوتها وخالصَ شهدها " .

وليكن فى علمك أن ما نسميه وقتَ الراحة
أو المتعة الاجتماعية فى المساء مبذولٌ كله فى
المطالعة والتأليف والترجمة .

وتابع رفيق يقول :

«إن المطالعة الحثيثة غير المنقطعة لما ينشر
عن أحدث ما استجد من مستكشفات علمية
وتقنية وتطبيقية فى المواصلات
والإلكترونيات والحواسيب ونقل آخر منجزات
الفكر الغربى فى هذه المخترعات التى ثورت
وسائل التخاطب والتواصل وميدان الأعمال
على نحوٍ من الشمول والاتساع والتسارع مما لم
تألف الإنسانية له فيما مضى مثيلاً .

أما فى التأليف فها هو ذا يُودعُ عصارة
ما فقه ونشر واستنتج واستحدث جزءاً منه فى
مؤلفه عن قصة الذرة وكانت موضوع الساعة
المحاط بالطلاسم فسُلط عليه الأنوار الكشافات
، وجزءاً آخر فى الصواريخ والأقمار الصناعية ،
وهى حديث الساعة ، فينقل إلى المحسوس ما

كان يُظنّ في الموضوع من المغيَّبات» .

... ولقد غاص الفقيد في لجج هذا البحر بدأبٍ وعناد واستخرج منه أعزَّ الأصداف .

أما الترجمة فهي بحاجة إلى إرادة قوية ، واندفاع أصيل لا عارض ، وتوطين مطلق للنفس على الأداء كأحسن ما يكون الأداء ، مهما صعب المثال ، وشقَّ المسار ، تكمن كلها وراء قبول تحدى الترجمة إلى العربية ، لمؤلفاتٍ صعبة ، كمؤلفات العالم الفرنسى الفذ ، Albert Ducrocq كمؤلفه فى العناصر . ومؤلفه فى المادة السيبرنية والكون ، تعبيراً عن الماكينات التقنية التى زودها الإنسان بمتلقفات جعلتها وكأن لها جسماً وحواساً وقدرة على التنظيم والاستنتاج ، ومؤلفه عن جسم الإنسان العجيب ، وذلك على بعد الهوة ما بين التقدم اللغوى الذى سائر تقدم العلوم والتطبيقات فى الغرب والجمود الذى ران على العربية قروناً .

" وقل مثل ذلك فى تصدى فقيدنا لأحدث المؤلفات بالإنكليزية عن الطاقة لويلسون ، والحاسبات فى أعمالها لكلاارك ، والمجلدين

الضخمين فى الميكرو - إلكترونيات الدقة لميل مان Mill MAN وروبرت أوينهامر والقنبلة الذرية للعالم الفرنسى ميشل روزه Michel Rouse ويتكلل كل ذلك بترجمة مبادئ الفيزياء الحديثة لجيمس ريتشادز ، مبسطة موضحة معللة ، بلغة عربية بيّنة ، توضع منارة تستنير بها الجامعات العربية " .

ويقول رفيق عن الفقيد أخيراً :

" كان مع كل هذا النشاط ، أنيساً لجلسائه الكثر ، وفيّاً لأصحابه من الأخيار ، طليّ الحديث ، يعزّزه ببديهة رائعة وحضور ذهنٍ فذٍّ ، بالشواهد الشعرية والقطع المنثورة من روائع ما قال العرب وكتب الأغراب ، لا على وجه التعميم مما يصلح لكل مناسبة ، بل على وجه إيراد الشاهد الذى يقع فى موقعه الصحيح ، على ما يطرق من موضوع متخصص ، أو ما يعرض من روح النكتة الذكية والدعابة المستملحة ، فلقد كان تضلعه بالآداب العربية والأجنبية مدعاةً للتعجب ، كيف يجد الفسحة لاستيعاب هذه الناحية الجمالية من حياة الإنسان ... !"

وأخيرا خاطب رفيق الفقيده قائلا له :

إن المؤمن إيمانك لينظر إلى المصائب من
باب البلواء والامتحان لصلابة إيمانه وصحة
صبره ، وجود قلبه .

وقدم رفيق أحرّ التعازى لأهل الفقيه خاتما

كلمته ببیت للشاعر المحزون :

سألتنيه رثاء خذه من كبدي

لا يؤخذ الشئ إلا من مصادره

كان رفيق فى مكتبته وقد تحرر من

أعماله الرسمية ينقب فى الكتب التى

سبق أن قرأها وعلق فى هوامش بعضها بما

أوحى إليه بعض ما قرأه فيها ، نشرها كان

أو شعرا ، وإذا به فى يوم من الأيام يقع

على غزل تبادلته ابن زيدون - ذلكم الفتى

الأندلسى العربى المحتد الفصيح اللسان ،

الموسيقى النطق - مع ولادة بنت المستكفى

الخليفة الأموى فى الأندلس ، وكانت تقرض

الشعر الرائع وتغنيه بموهبة تأخذ بالألباب

وتجمع حولها الأصحاب ، فما كان من أبى

الوليد ابن زيدون إلا أن اندفع ودسّ

نفسه بين هؤلاء ولم يلبث أن غدا أغلى

الأحباب .

صاح رفيق دون أن يسمع صوته أحد " لقد وجدتها

" إنها قصة عشق وغرام تصلح لموازنتها بأشهر قصص

الحب والهيام " فأخذ القلم وبدأ يكتب :

" شعر وموسيقا فى أعمال ابن زيدون

وموزارت وبول فرلين " . ولم يطل الزمان حتى

كان أمامه مقال رائع يعجب متذوقى الأدب

الرفيع وأصحاب الروح الغنائية والآذان التى

تضبط الأوزان وتميز بين الأنغام والأنغام ،

ولكن أين الناشر ذو الكفاءة العالية من

أصحاب الثقافة الواسعة والفهم العميق ، وأخذ

يفتش عن أصحاب السوابق من أهل الفطنة والمواهب .

واختار رفيق الدكتورة روز مارى هول^(١)

(١) الدكتورة «روز مارى هول» سيدة ألمانية مولودة فى برلين عام ١٩٣٩ ، وانتسبت إلى معهد اللغات فى جامعة مانيس Mainz وفيه أتقنت كلا من اللغتين الفرنسية والأسبانية ثم دخلت جامعة هايدلبرج Heidelberg وفيها تخرجت - تتقن العربية - مؤهلة للاشتغال فى الصحف والمجلات التى تتعاطف مع العرب وقضاياهم الدولية حتى كانت سنة ١٩٨٩ إذ عهد إليها إدارة تحرير مجلة (فكر وفن) التى تصدر بالعربية منذ عام ١٩٦٣ وما زالت فى مسارها الطليعى وفى ارتفاع دائم فى التجميل وإتقان الإخراج .

المشرفة على تحرير مجلة «فكر وفن»^(١) «
فبعث إليها بما دبجه قلمه من بحث طريف
بأسلوبه الممتع الطريف .

لم يطل الزمن على عشاق مجلة "فكر وفن"
كثيرا ، وهم ينتظرون صدور عدد موتسارت -
كما كانوا ينتظرون غيره من أعداد ، إذ كان
صدورها غير مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ
محدد ، لا بل لم يكن توزيعها ، وبخاصة في
بلاد الشرق الأوسط منتظما أو رتبيا ومتواليا ،
فقد كان مرتبطا بحركة موظفى الشؤون
الثقافية الألمان وهم يتبدلون حيناً بعد حين ،
تفقد أعداداً منها عند من يحبون ألا تفوتهم
قراءة أى عدد منها ، كما كانت بعض أعدادها
تتكرر عند غيرهم ممن يسأل عن موعد صدورها
أو يلح فى طلبها - وهكذا كان عشاق المجلة
المتعارفون يظلون فى دوامة السؤال عنها أو

الحديث عن ما نشر فيها من موضوعات أو
عما يتصورونه غامضا فيما سبق ونشر فيها .
وأخيرا صدر عدد موتسارت يحمل رقم ٥٣
لسنة ١٩٩١ ، وكان بحلّة قشيبية جديدة
بالتنويه ، غير أن غلافه كان يحمل رسما
أعجز من اطلع عليه عن معرفة كنهه ، حتى
المهرة من الفنانين كان أحدهم يصمت عن
تفسيره إذا سئل عنه ، مما دفع كل من حصل
على نسخة منه إلى اللجوء إلى داخل المجلة
للتفتيش عن كنه الرسم المجهول .

كان صدور العدد ٥٣ من مجلة «فكر
وفن» فى عام ١٩٩١ وهو عام أطلق الألمان
عليه اسم " عام موتسارت " بمناسبة مرور
ذكرى وفاته للمرة المئتين ، ولم يحل دون
تحقيقه لناغمة الموسيقى العالمية إلا فرحة الإعلان
عن الوحدة الألمانية بعد أن مزقتها حرب

(١) أصدر العدد الأول من مجلة (فكر وفن) بالعربية ألبرت تايلر سنة ١٩٦٣ وتم تحضيرها المدروس كما تم طباعتها المتقنة على ورقها الصقيل فى مدينة هامبورغ الألمانية وذكر فى صفحتها الثانية تحت عنوان (هدفنا) :
" إن مهمة مجلتنا هذه هى التحريض على التفكير والتوسط بين الأمم وبناء جسور معنوية ، وتقتضى هذه المهمة أن نتعارف وأن نحترم بعضنا بعضا على ما نحن عليه ."

وتسير المجلة على النهج الذى خطته الملمع اليه آنفا حتى اليوم مؤمنة بالروح التى تطلب المعرفة والكمال ، وتتعطش إلى الحسن والجمال ، تعطف على القضايا العربية ، وتقدر الروح الإسلامية ، وتستشهد بالآيات الكريمة وتبرز الجمال فى الخطوط العربية ، تحترم التقاليد العريقة وتدعو ذوى النيات الحسنة إلى التبادل الروحانى والمشاركة فى الأبحاث العلمية التى تخلم الإنسان ، وإثراء الكرامة فيه .

الحلفاء ، إذ انهارت الشيوعية وانتصرت إرادة الشعوب ظافرة بإعلان ما كانت تسعى إلى تحقيقه .

فى خلف غلاف المجلة نُشرت صورة رائعة لغولفجانج أماديوس موتسارت موهبة السماء فى الموسيقى - كما رسمتها بريراكرافت سنة ١٨١٩ استنادا إلى صور قديمة ، والألمان الأصلاء يعتبرونها من أصدق صور موتسارت، رغم أنها رسمت بعد وفاته بقرابة ثلاثين عاما، وفى الصفحة نفسها حلّ لغز صورة الغلاف الخفية إذ كانت (صورة لموتسارت بعد معالجتها بطريقة التركيب الإلكتروني) !

كانت الصفحتان الرابعة والخامسة تضمان جدولا بمحتويات العدد وفيه إشارة إلى الصفحة ٢٨ وفيها اسم « رفيق جويجاتى » وعنوان مقاله (شعر وموسيقى فى أعمال ابن زيدون وموتسارت وبول فرلين) وقد احتل المقال سبع صفحات موسوعية من صفحات (فكرُ وفن) غير أنها حوت هامشين هما بيت القصيد من هذا الحديث .

جاء فى الهامش الأول تعليقا على كتابة اسم النابغة الألمانى موتزارت ما يلى :

" المقصود موتسارت ، ولكن صاحب المقال اختار نقل اسم الموسيقار إلى العربية على هذا النحو " .
وجاء فى الهامش الثانى ما يلى :

" صاحب المقال ينقل بعض أسماء المدن الألمانية إلى العربية على حسب نطق الفرنسيين إياها :

مونيخ هى مونشن أو ميونينخ كما يقول الإنكليز .

ومايائس هى ماينس . وايكس لا شابيل هى آخن .

ما هذا النقد اللطيف على قسوة مغزاه والنافع إليه ؟

إنها الغيرة على اللغة ، وهو درس واضح فى لزوم الحفاظ على أصول النطق بحروفها .

تلك : أمة تقس لغتها

إنها اللغة الألمانية التى يقسها الألمان الأصلاء ، إنها لم تكن خطأ وقع فيه رفيق جويجاتى بقدر ما كانت قصورا من وزارة الخارجية التى لم تقيم أغوار عمالها لتوائم بين مصلحة الإدارة ومساعدتهم فى إتقان ما يحسنون .

أما العربية التي قدسها جبار السموات
والأرض فأنزل بها كتابه الكريم هاديا ومرشدا
للعالمين ، فتكاد تعاني اليوم الاغتراب في
أوطانها ، نعم إن لغة التنزيل العظيم التي
حفظها الله عز وجل للعرب وحديثهم ، مُوجِبَةٌ
على كل مسلم تعلمها لفهم الإسلام الصحيح ،
ولكن أخذ العرب أنفسهم ، يبالأسف ،
بالانتقاص من قدسيته ، لا بل قام نفر من
أبنائها بالاشتراك مع عصابة من الناطقين بها
استغربت أفكارهم فاستغربت قلوبهم فعميت
فيهم الأبصار وأخذوا يدعون إلى العامية ،
على أنهم اختلفوا في دعوتهم فبعضهم يدعو
إلى اللغة المحكية ، وبعضهم يدعو إلى الدارجة
وغيرهم إلى النبطية ، ومنهم من يدعو إلى
الإبداع بأي شكل شئت ، وهناك من يدعو إلى
نبذ حروفها أو إلى فك أغلال الإعراب عن
أواخر كلماتها - وكل هؤلاء من الغرب يستقى ،
أو أنه يبشر بما يريده الغرب أو يتمناه ، مأجورا
كان أو غير مأجور^(١).

وهناك من يطالب بالعلمانية وقد كسر
العين في لفظها جهلاً أو غباءً أو تحدياً ،
وهناك من يكسر العين لمجرد التصلي لجماهير المؤمنين .
إن الانتقاص من قدسية العربية قديم قدم
انتشارها مع الإسلام في كثير من أقطار
الدنيا ، يومها دخل الذين عرفوا بعدئذ
بالشعوبيين تحت نفوذ الدولة الإسلامية ، وقد
كشف علماء المسلمين دورهم وسجلوا دوافعهم
وما يبغون من الهدم بعد التخطيط له ، كما قام
الطامعون في استعمار بلاد العرب بالعمل على
تفتيت وحدة العرب بالنيل من قدسية العربية
لأنها كانت عنوان الوحدة والتجمع ، وكان
للمؤامرات التي حيكت لإذلال العرب جنود
كشفوا أسرارها وفضحوا خبيثها ، وبعد سقوط حمايتهم
سقط ما كان يستر سوءاتهم وسوءات صنائع سادتهم .
غير أنى وددت لو حدثتكم عما يسميه
بعضهم مرحلة (العصور) مشيرا إلى مجلة
كانت تحمل هذا الاسم ، وددت ذلك لأنى
أدركتها وهي تحتضر ، قالوا : إنها تُعنى

(١) انظر عدنان الخطيب (دعاة العلمانية في العالم العربي) .
قيد الصدور (هل هم عملا أو هم مستغربون فقط) .

بالعلم ليحل محل العقلية الخرافية ، إذ تقدم لعامة القراء من حقائق العلم ما وصل إلى مستوى اليقين ، هادفة بذلك إخراج المسلمين من الجهل إلى العلم ، ومن العبودية إلى الحرية ومن الضعف إلى القوة ومن الفقر إلى الغنى .

ولكن ما هي حصيلة هذه الأفكار الساذجة التي كانت تدعو إليها " العصور " وصاحبها ترجم لقرائه نظرية داروين ليسعرفوا أين كان يعيش أجدادهم ، وقيل إنه لم يعقب ، على أن البعض قالوا إنه أعقب ، غير أنهم اختلفوا في الإشارة السابقة إن كانت موجبة أو سالبة ، رحم الله من يستحق الرحمة وغفر للباقيين إنه غفار رحيم .

أعود فأقول : ولكن ما هي حصيلة تلك الأفكار التي كانت تدعو إليها " العصور " وهل كان الغرب المتحضر الذي يدعو المسلمين إلى الإسراع في اللحاق به ليتحضروا - هل كان قد قضى على تخلفه وقمت له حضارة تتمنى للمسلمين بلوغها إذا ما استجابوا لدعوتها ؟

إن المطلعين على واقع الحال في كل من أوربة وأمريكا يعرفون أن التخلف فيهما مازال موجودا كما أن مقاومة العلم واضطهاد العلماء مازال موجودا ، وكل ما تحقق فيهما أن العلمانية تغلبت

على الدين والأخلاق ودعمت الفساد والانحلال ، وأظن أن هذا هو الذي يقنع به أهل " العصور " ومن يدعو بدعوتهم في هذه الأيام ، وكل همهم من تأييدهم لنشر العلم ومعرفة الحقائق العلمية في هذا الزمن هو إبعاد الناس عن الدين وحضهم على التساهل في تأدية شعائره لإضعاف أثره في نفوس الجماهير ، ودعوتهم لقبول الرأي الآخر ومناداتهم بضرورة احترام آراء الآخرين فلكل حرية التعبير عما شاء بلا حساب أو شروط .

لقد دُعيت لحضور مجلس بقايا أهل " العصور " صحبة صاحب نافذة النور رحمه الله وقد ترددت على ذلك المجلس مرات ، وكان الحديث دوما ممتعا مادام يدور حول المسائل السياسية أو الاجتماعية أو المعاشية ، ولكني لم أر نور الدعوة إلى نشر علم الحضارة الغربية بين عامة المسلمين ليلحقوا بالغرب ويتخلوا حضارته مثلا أعلى ليدركوا مستواهم الحضارى .

رحم الله المخدوعين الذين انتقلوا إلى رحمة الله وغفر للآخرين ما اقترفوه من آثام .

عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

طريقة تعريب العلوم عند الأقدمين *

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

لم يكن العرب والمسلمون منغلقيين أبداً على أنفسهم فيما يتصل بما يقربهم من الحقيقة أو يؤدي بهم إلى أداء الصورة ...

ومن هنا نرى أنهم بمقدار ما كانوا يغارون شديد الغيرة على لغتهم العربية ، كانوا أيضا يعملون على إثرائها وإغنائها بكل ما يرونه مساعداً على ازدهارها . ولهذا السبب ، يعود عملهم الحثيث على أن يستفيدوا من شتى أنواع المعرفة التي كانت تحوم حولهم سواء عن الروم أو الفرس ...

ومنذ أيام الرسول عليه الصلوات قرأنا في كتب الصحاح أن المسلمين كانوا لا يترددون في الاقتباس من هؤلاء أو أولئك . كان هدفهم الوحيد أن يصلوا إلى الحقيقة .

ولابد في هذه المناسبة أن نذكر بالفترة المبكرة التي تم فيها تعريب الدواوين من الرومية إلى العربية أيام عبد الملك بن مروان ...

لقد كان الأقدمون يرون أن اللغة العربية هي العنصر الأول الذي يطبع هويتنا ، وقد نعتها بعض العلماء بالسلاح ، وأدرجها ضمن الأسلحة التي يجب أن يتحصن بها المؤمن والتي تدخل في الآية الكريمة : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ ...)^(١)

وهكذا فإن اللغة العربية تظل الهدف الأساسي لمجتمعنا وبدونها لا يكون شيئا .

إلا أن السؤال الذي وضعه مجتمعنا في دورته الستين هذه ظل مطروحا بعد كل تلك السنين الحالية ... فإلى أي مدى وإلى أي حد يجب علينا أن نقوم بهذا التعريب وبخاصة في ميدان العلوم البحتة ... الطب وما أشبه ...

* ألقى البحث في الجلسة الثانية للمؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ١٧ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤ .
(١) سورة النساء / ١٠٢ .

هنا أرى مما يسهل مهمتنا حول هذا الموضوع أن نأتى على تجارب من سبقنا من العلماء الأجلاء الذين كانوا يغارون على اللغة العربية فى الوقت الذى كانوا يحرصون فيه على المستوى الجيّد للعلم المطلوب ... وهنا أسوق شهادة لأحد أعلام المعرفة ورواد الفكر العلمى من رجال القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى ، وأقصد به أبا داود سليمان بن حسن الأندلسى المعروف بابن جلدل المولود بقرطبة عام 332 = 944 والذى أمسى بعد ريع قرن من ميلاده مرجعاً هاماً من مراجع الطب فى العاصمة الأندلسية .

لقد ابتدأ هذا الرجل دراساته الطبية منذ أن بلغ خمس عشرة سنة ، وأصبح بعد عشر سنوات مصدراً مهمّاً فى هذا الميدان ، وقد رشحه هذا التكوين ليصبح طبيباً خاصاً للمؤيد بالله هشام 99-366 = 977-1009 .

فى خلال هذه الفترة كتب القسم الأكبر من مؤلفاته وخاصة "تفسير أنواع الأدوية المفردة

من كتاب ديوسقوريدس (Dioscuridis) المؤلف فى ربيع الآخر 372 = 982 ، وكذا طبقات الأطباء والحكماء المؤلف سنة 377 = 987 فى أيام المؤيد بالله ، ومن بين المؤلفات الأخرى (مقالة ذكر الأدوية التى لم يذكرها ديوسقوريدس) ومقالة من أدوية الترياق ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطبيين ... ويلاحظ أن من بين هذه المؤلفات (طبقات الأطباء) الذى يمثل فائدة خاصة لأنه من جهة يحتمل أن يكون - بعد تاريخ الأطباء لإسحاق ابن حنين - أقدم مصنف لتراجم الأطباء باللغة العربية ، وهو من جهة أخرى أقدم نموذج للترجمة العربية من اللغة اللاتينية^(١) ...

لقد قام هذا العالم الجليل - كما رأينا - بتجارب فى تعريب العلوم فأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها .

وقد أفادنا فى أول تفسير لذلك أن كتاب ديوسقوريدس كان قد ترجم بمدينة السلام على عهد الدولة العباسية فى أيام جعفر المتوكل

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأثباء ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، طبعة رابعة 1408 = 1987 ج 3 ، ص 75 . encyc. de .

247-232 = 861/847 وكان المترجم له هو

اصطفان بن باسيل (ISTIFAN B. BASIL)

الترجمان ، نقله من اللسان اليونانى إلى

اللسان العربى ، وتصفح ذلك حنين بن إسحاق

المترجم فصيح الترجمة وأجازها ، وهنا يكشف

لنا ابن جلجل عن الطريقة النموذجية التى

اتبعها الأقدمون فى تلك الترجمة فيقول :

إن ما علمه اصطفان من تلك الأسماء

اليونانية فى وقته وعرف أن له اسماً فى

اللسان العربى فسّره ، أى ترجمه بالعربية ،

وما لم يعلم له فى اللسان العربى اسماً تركه

فى الكتاب على اسمه اليونانى اتكالا منه

على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك الاسم

ويفسره باللسان العربى ...!

وهنا يزيد ابن جلجل توضيحاً لموضوع

التعريب العلمى هذا فيقول : إن إطلاق مفرد

بالعربية على مفرد آخر غير عربى يحتاج إلى

اتفاق أهل العلم المتخصصين من كل بلد ،

على أعيان تلك الأدوية بما يرون ...

وإضافةً إلى هذا الاتفاق ينبغى أن يطلقوا

الاسم العربى الذى يختارونه إما اعتماداً على

الاشتقاق من العربية ، أو بغير ذلك مثل أن

يتواطأوا على اسم معين ...

فكان اصطفان - يقول ابن جلجل - يتكل

فيما لم يصل إلى معرفته - على قوم يأتون

بعده ممن يعرف أعيان تلك الأدوية التى لم

يعرف هو اسماً لها فى وقته فيسميها على قدر

ما يسمع فى ذلك الوقت ...

وهنا يستطرد ابن جلجل - وهو كما نعرف

ممن كانوا يعملون فى البلاط الأندلسى -

فيستعرض صفحةً مطرفةً من التاريخ الدولى

للأندلس لها علاقة بتعريب كتاب

ديوسقوريدس .

يقول ابن جلجل : وقد ورد هذا الكتاب إلى

الأندلس مترجماً من لدن اصطفان ، ومنه ما

عرف له اسماً بالعربية ومنه ما لم يعرف له

اسماً .

وهكذا توصل الخليفة الناصر عبد الرحمن

الثانى بخطاب من العاهل البيزنطى قسطنطين

السابع قيصر القسطنطينية المعروف باسم

بروفيروجينيّط (Prophyrogenete) وكان ذلك

بتاريخ 337 = 948 .

وكان فيما حمّله السفير البيزنطى عددٌ من الهدايا النفيسة : هذه السفارة التى تقدم عنها الرواية الأندلسية تفاصيل شائقة تلقى ضوءاً عن نظم الرسوم الدبلوماسية فى ذلك العصر وقد حضرها من الضيوف الذين نزلوا على الأندلس أبو على القالى وافد العراق^(١) .

وكان فيما ورد فى الخطاب البيزنطى إلى الناصر أن كتاب ديوسقوريدس لا تُجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى ويعرف أشخاص تلك الأدوية ، فإن كان فى بلدك من يحسن ذلك فزت بفائدة الكتاب ...

وأما كتاب أورسيوس ORSIUS فعندى فى بلدى من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطينى، وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطينى إلى اللسان العربى .

لقد ارتجل الشاعر منذر البلوطى خطاباً عظيماً بهذه المناسبة ، وكان من شعره عن ذلك الاستقبال المشهود :

وفود ملوك الروم وسط فنائه
مخافة بأس أو رجاء لنائل
ستملكها ما بين شرقٍ ومغربٍ
إلى درب قسطنطين أو أرض بابل^(٢) !

وقد بقى كتاب ديوسقوريدس فى خزانة عبد الرحمن الناصر ولم يترجم إلى اللسان العربى ... وإنما الذى كان بين أيدي الناس هو ترجمة اسطفان الواردة من مدينة السلام .

فلما أجاب الناصر العاهل البيزنطى طلب إليه بواسطة السفير الأندلسى هشام بن هذيل أن يبعث إليه برجل يحسن الإغريقية واللاتينية ليعلّم له عبيداً يقومون بالترجمة لديه ، فبعث الملك قسطنطين إلى الناصر براهب كان يسمى نقولا س (Nicolas) ، فوصل إلى قرطبة سنة 340 وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتنقيب وحرصٌ على استخراج ما حصل من أسماء عقاير كتاب ديوسقوريدس إلى العربية وكان أبحاثهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرب إلى الملك

(١) د . التازى : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ج 4 ، ص 311 .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ، بيروت ج 1 ، ص 364 / 373 .

عبد الرحمن الناصر حسداى بن شبروط
الإسرائيلي ... وكان نقولاس الراهب عنده
أحظى الناس وأخصهم به ، وفسر من أسماء
عقاقير كتاب ديوسقوريدس ما كان مجهولا .
وكان فى ذلك الوقت من الأطباء الباحثين عن
تصحيح أسماء عقاقير الكتاب وتعيين
أشخاصه محمد المعروف بالشجار ورجل كان
يعرف بالبسباسى وأبو عثمان الجزار الملقب
باليابسة ، ومحمد سعيد الطبيب ، وعبد
الرحمن ابن إسحاق بن هيثم ، وأبو عبد الله
الصقلى وكان يتكلم باليونانية ويعرف
أشخاص الأدوية ..

وقد أدرك ابن جلجل نقولاس الراهب فى
أيام المستنصر بالله الحكم 350-365 = 961-976
وصحب رفاقه كذلك فصُحِّح - بفضل بحث
هؤلاء نفر الباحثين فى أسماء العقاقير -
كتاب ديوسقوريدس وزال الشك عن أشخاص
تلك الأدوية وأوجب المعرفة بها وتصحيح النطق
بأسمائها إلا القليل منها الذى لا بال لها وذلك
يكون فى مثل عشرة أدوية .. "

لقد أردت باستعراض كل هذه الأخبار أن

أؤكد أن الأقدمين كانوا فى موضوع تعريب
العلوم يحتاطون ويحتاطون قبل أن يقدموا
علي عمل ما من الأعمال وخاصة فيما يتصل
بالطب لأن غلط الطبيب - كما يقول ابن
البيطار - ليس كغلط سائر الناس فإن غلطه
قد يؤدى إلى اتلاف روح وهذا لا يجوز !!

وقد وجدنا أن لابن البيطار فى مقدمة كتابه
(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ما يؤكد
حرصه واحتياطه فى ترجمة الكلمات بمختلف
اللغات . ووجدناه اعملاً بالنموذج الذى حكاه
ابن جلجل ، يُحجم عن اختيار الاسم باللغة
العربية إذا لم يتبينه كما يجب ويكتفى بذكر
اسمه باليونانية أو اللاتينية أو البربرية أو
غيرها ذلك من اللغات ..

ومعنى كل هذا أن القدماء كانوا فى
منهجهم لتعريب العلوم يسировون وأمامهم
هدفان اثنان : الهدف الأول التعريب كلما
أمكنهم ذلك ، فإن تعذر تمسكوا بالمصطلحات
كما هى . الهدف الثانى : ينشأ عن الأول ويتعلق
الأمر بتعجيل الفائدة ما أمكن ذلك فى انتظار أن
نتوفر على من يُعرب تعريباً صحيحاً دقيقاً .

وهكذا فلم يكن التعريب هدفاً يقوم على محاربة لغة ما من اللغات أو حضارة من الحضارات ولكنه كان بدافع الحفاظ على مدّ لغتنا الوطنية بالقدر الذى لايسبب ضعفاً أو نقصاً فى زادنا العلمى ، ويفضل تضلع علمائنا الأوائل وتمكنهم من اللغات الأخرى أمكنهم أن يقدموا لنا تأليف كانت قمة فيما خلقوه لتراث الإنسانية جمعاء :

أمثال ابن الجزار وابن البيطار والإدريسى لم يكونوا إطلاقاً يكتفون بلغة واحدة لإثراء معلوماتهم ، ولكنهم كانوا يقتحمون اللغات الأخرى اقتحاماً ظهر فيما كتبوه وما دونوه ... لا ننسى أننا كنا نجد فى الأندلس مدارس تضم فى الوقت الواحد والمكان الواحد متعلمين من الملل الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام، وإن هذه المدارس استمرت تعمل إلى سقوط مدينة مرسية .. وقد ذكر ابن الخطيب فى الإحاطة أنه عام 553 = 1158 كان فى بياسه (BAEIA) عالم غرناطى يدعى عبد الله بن سهل كان يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود ، وورد فى نفح الطيب

للمقرى فى ترجمة القرموطى المرسى أنه كان من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة : الهندسة والمنطق والطب والموسيقى .. وكان يُقرئ الأمم بالسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها . ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عام 1266 = 664 عرف له حقه وبنى له مدرسة يُقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود ...

أريد أن أستخلص من كل هذا أن مبدأ تعريب العلوم مبدأ مقدس لا يحتمل الجدل ولكننا إذا ما تعذر علينا ذلك التعريب إما لنقص فى أطرنا أو ضعف فى معلمينا ، هنا ، سنكون مضطرين - ومن غير أن يملكنا أى شعور بمركب نقص - إلى تناول العلوم بلغاتٍ أخرى .

هناك مثال أضر به للاستدلال على ضرورة التعجيل بالفائدة قبل ضياع الفرصة ...

هناك ظاهرة شاهدناها بالمغرب فى العصر الوسيط عندما اشترطت دولة المرابطين (453 - 500 = 1061 - 1106) على خطباء الجمعة أن يكونوا مُلمين باللغة البربرية لكى يتمكنوا من تبليغ المصلين - وجلهم من البربر

- ممن كانوا لا يعرفون العربية ، تبليغهم بما يوجه إليهم من خطاب فى الوقت المناسب ، ولا أعتقد أن الأمر كان يتعلق بعداءٍ للغة العربية ، كيف وكل الرسائل الرسمية للدولة سواء منها ما كان للاستعمال الداخلى أو الموجه للأمم النصرانية ، كل تلك الرسائل كان مكتوباً بلغة عربية سليمة ، بل إنها لغة رفيعة .

وأحب أن أذكر بهذه المناسبة أننا فى المغرب فوجئنا أواسط القرن التاسع عشر بظهور جهاز التلغراف .. وأن المغاربة طمحووا لكى يبعثوا برسائلهم العاجلة عبر جهاز التلغراف الذى لم يكن يقبل الحرف العربى .. !

ومن هنا اضطررنا إلى التسفكير فى الاستفادة من التلغراف فى الوقت الذى لا نفرط فيه فى لغتنا ... ولما لم نكن على استعداد للتعامل مع الحروف اللاتينية فقد تم الاتفاق على اللجوء إلى استعمال الأرقام عوضاً عن الحروف ، مثلاً : حرف الألف عوض برقم 20 والباء 21 والتاء 22 والثاء 24 ،

وهكذا إلى حرف الياء التى عوضت برقم 49 ، علاوةً على تخصيص أرقام لبعض الوظائف ، مثلاً : رئيس الدولة يُعطى رقم 55 ووزير الداخلية 67 والخارجية 85 ..

وأريد فى ختام هذا العرض الموجز أن أذكر أن تجربتنا فى المغرب تعتمد على مبدأ التعريب الشامل الكامل مع الاحتفاظ بالمصطلحات العلمية الدولية فى ميدان الرياضيات والفيزياء والكيمياء حرصاً على الاستفادة من تجارب الآخرين من جهة وعدم تضيق الوقت فى البحث عن مصطلحات جديدة قد تحول دون سيرنا قدماً فى طريق المعرفة .

وهكذا فإن ما أشار إليه ابن جلجل فى بداية العرض .. كان بالنسبة إلى المغرب مبدأ سليماً يتفق والرغبة فى الحفاظ على المستوى العلمى فى الوقت الذى نقوم فيه بمجهودنا الهادف إلى تعريب سائر الحقول العلمية .

عبد الهادى التازى

عضو المجمع من المغرب

ألفاظ يمنية

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

هذا موجز في ألفاظ يمنية يدرج بها
اليمنيون في لغتهم الدارجة ، غير أن فيما دُلَّ
عليه الدرس ما كان منها ذا أصل فصيح لافجده
في « العربية المعاصرة » ، وشيئا آخر نجد أصوله
في اليمنية القديمة التي هي السبئية^(١) .

إن هذا يعنى أن « السبئية » وغيرها مما
يتصل باللغات الخاصة لابد أن ندرجه في «
العربية الجنوبية » فيكون من ذلك كله عربية
في شمال بلاد العرب بما فيها من لغات
خاصة ، وعربية في جنوب بلاد العرب بما فيها
من لغات خاصة .

وقد رأيت أن أبسط في هذا الموجز طائفة من
ألفاظ عرفت في عامية أهل اليمن ذات أصول
قديمة نجد آثارها في المعجم القديم ، وفي

النقوش السبئية ، ولكنها غريبة بل بعيدة عن
« العربية المعاصرة » إلا ما يضطر إليه
اليمني ، وهو في سياق الحديث عما لليمنيين
في شؤونهم الخاصة .

وسأدرج هذه الألفاظ بحسب حروف المعجم
مشيراً إلى أصولها :

١ - بلق :

أقول : « والبلق » في لغة أهل اليمن نوع
من الحجر ، وهو كذلك حجر كلسى في المعجم
السبئى ، وقد ورد ذكره في النقش المرسوم
ب (ربرتوار - ٤٠٨٥) .

أقول : الذي كان لليمنيين في دلالة « البلق »
ألمحه في مادة « بلق » في معجماتنا القديمة ،
فقد جاء فيها :

* ألقى البحث في الجلسة الثالثة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ١٨ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤ م .
(١) أقول : لم يعرف اللغويون العرب « السبئية » ، ولم يرد هنا الاسم فيما تركوا لنا من آثارهم ، ولكننا وجدنا الحميرية التي أباهما
نفر منهم فقد قال أبو عمرو بن العلاء : مألغة حمير بلغتنا ولا لسانهم بلساننا ، ومن غير شك أن « الحميرية » التي أدركها العرب هي
بقايا السبئية .

ان « البلق » بفتحيتين سواد وبياض ، وكذلك « البُلْقة » . وأصل الدلالة هو اللون . ويصدق هذا فيما نشاهده من الحجر الذى يشيد به اليمانيون بيوتهم ، ذلك أن لونه « أبلق » فهو مشرب من بياض وسمرة بحيث يختلط فيها اللونان . وبهذا الحجر سُمي كل بناء « أبلق » ، فأنت تدرك هذا فى قول الأعشى وهو يصف قصر السموأل بن عاديا ، اليهودى بأرض تيماء :
بالأبلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين ، وجار غير ختار
وفى المثل : تمرّد مارّد وعزّ الأبلق ،
قال الأعشى :
وحصن بتيماء اليهودى أبلق

والكلمة الأولى ، وهى المضمومة الجيم معروفة فى صنعاء وما جاورها من الآفاق ، وذمار وهمدان وأرحب ، والثانية معروفة فى كثير من حواضر اليمن وبواديها ، وهى تشعر بالتكريم للمهدى إليه ، يقال فى اليمن : « جباك يافلان » .
وأما الأولى المضمومة الجيم التى تعنى سطح البيت فقد ذكرت فى النقش القديم المدعو (جام - ٦٥٦) والذى ورد فى « المعجم السبئى »^(١) « إن « جبا » وتجمع على أجبي » تعنى « مجمع المطر »^(٢) .
أقول : ومثل هذا فى « المعجم السبئى » وفى المعجمات العربية ، فقد جاء فى هذه : « جَبى الماء (وكذلك الخراج) فى الحوض ، وجبوتة ، تجباه وجببيه ويجابوه : جَمَعَه .

٣ - ثقل :

أقول : و« الثقل » فى عامية أهل اليمن ولاسيما فى صنعاء يعنى « نزع التنور وتجديده » ، تقول المرأة مثلاً : ثقلت للتنور و« ثقل » فعل بمعنى كسا بالحجارة ، وهو كذلك فى النقش (جام - ١٠٧) أى طوى بالحجارة البرج .

٢ - جبا :

واللفظ بضم الجيم وفتحها ، فأما المضموم الجيم فيعنى سطح المنزل ، وأما المفتوح الجيم فيعنى الهدية يُهدىها الرجل إلى صاحبه ، والمضموم والمفتوح كلاهما معروف فى اليمن .

(١) « المعجم السبئى » من منشورات جامعة صنعاء (مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٢) .

(٢) أقول : هذه الألفاظ جمعتها مستنطقاً طلابي واستخبرهم فيما أقرؤه وأسمعه من الكلم اليمنى ، وكان خير من أفادنى وقدم بين يدي مجموعاً فى بضع ورقات هو الطالب عبد البارى عبد الله الكبارى الذى أضاف إلى مالى فوائد لايقف عليها غير اليمنى ، فله شكرى واحترامى .

٤ - جرن :

« الجرين » فى بعض جهات اليمن هو البيدر ، وهو كذلك فى « المعجم السبئى » . وقد ثبت فى نقوش علة سبئية .

أقول : و« الجرين » فى المعجمات العربية القديمة موضع البئر ، وقد يكون للتمر والعنب ، والجمع أجرنة وجرن .

وهو ببدر الحث يُجدّر أو يُحظر عليه .

٥ - حقو :

« الحقو » هو الحنصر فى استعمال اليمنيين ، وهو كذلك فى نقوشهم القديمة . وقد ذكر فى « المعجم السبئى » .

أقول : وفى معجمات العربية :

الحقو والحقو : الكشح ، وقيل : معقد الإزار ، والجمع : أحق وأحقاء ، وحقيّ وحقاء . وفى « الصحاح » : أنه الحنصر ومشدّ الإزار من الجنب .

٦ - خرش :

« الخرش » لدى اليمنيين هو شق الأرض فى ابتداء موسم الزرع إعداداً للبذر . ومنه قالوا : « المخرشة » وهى أداة الشق .

وذكر لى أحدهم : أن « الخرش » يعنى أيضاً فى

كثير من جهات اليمن فك عقلة الحبل .

كما ذكر لى أن أهل صنعاء يريدون بالخرش النقش على الجص .. أقول : وليس هنا بعيداً عما فى معجمات العربية التى أفدنا منها إن « الخرش » هو « الخدش بالأظفار » وغيرها .

والمخرش والمخراش : خشبة يخط بها الإسكاف .

والمخرشة والمخرش : خشبة يخط بها الخراز أى

ينقش الجلد .

وهنا كله من أدواتهم فى الصناعة .

٧ - سقف :

« السقف » لدى أهل اليمن لكل ما هو عالٍ مرتفع كالبناء ونحوه ، ولنا كان السقف فى البيت لارتفاعه . وهو كذلك فى النقوش اليمنية القديمة كما فى النقش (أريانى - ٧١) على أن أهل اليمن قد توسعوا فى دلالة « السقف » فأطلقوه على ما يُسمى فى عربيتنا المعاصرة « الطابق » أو « الدور » ، فيقولون مثلاً : يشتمل البيت على أربعة سقوف ، وذهبوا إلى أبعد من هذا فقالوا : فى هذه البئر خمسة سقوف .

وليس بعيداً عن دلالة السقف في المعجمات العربية القديمة ، فقد جاء فيها : « السقف : غِماء البيت ، والجمع سُفُف وسُقوف .

٨ - شقر :

والفعل : شَقَّرَ ومثله هَشَقَّرَ يعنى ما يختم به البناء من النقش والزخرفة بحيث يبدو أعلى البناء مخالفاً في ظاهره لجملة الجدران . وكأن هذه القمة المزخرفة والمنقوشة هي خاتمة عمارة البيت ، بحيث يكون البناء الذى لم ينته على هذا النحو ناقصاً . ويتبع هذا ما يوضع في طيات عمامة الرجل أحياناً من الورد والرياحين « تشقيراً » .

وقد وردت هذه الدلالات من النقش والزخرفة التى يختم بها البناء وغيره فى النقوش القديمة : (كوريوس ٥٤٠) و (ربرتوار - ٤٠٨٥) و (ربرتوار - ٣٩١٣)

أقول : والأشقر من الدواب والإنسان : الأحمر ، والشُّقْرَة : الحُمْرة ...

فى « معجمات العربية » . وقد جاء فيها أيضاً : « الأشاقر : حى من اليمن من الأزد ، والنسبة إليهم أشقريّ . وبنو الأشقر : حى أيضاً يقال لأُمّهم الشُّقراء .

٩ - شفف ، شوف :

أقول : كلتا الصيغتين من أبنية الفعل فى النقوش اليمنية بمعنى حفظ وحى نفسه .

ومن هذا « الشوفة » التى بقيت فى عصرنا للمرأة المودعة لدى زوجها وهى تعيش فى حماه على أن هذا شئ لا تعرفه فى فصيح العربية القديمة .

١٠ - صرَب :

« الصَّرَاب » مصطلح فلاحى يعنى فى اليمن الحصاد للبرّ والشعير . و « الصَّرَاب » : الذرة ، وهذا ما نجده فى النقوش اليمنية (ربرتوار - ٤٢٣٠) . وقد أطلق على أحد شهور السنة « ذو صرين » أى شهر الصراب ، وهو موسم حصاد الذرة .

أقول : و « الصَّرَب » فى المعجمات القديمة : اللبن الحقيق الحامض .

وهنا بعيد عما نحن فيه من اللغة اليمنية فى حاضرها وماضيها ، غير أننا نجد فى هذه المعجمات « الصَّرام » بمعنى جناد النخل وحى الرطب فى أوان إدراكه . وأعود فأقول : إنه مثل الكلمة اليمنية ، والبذل كثير بين الباء والميم لما يكون من موضع الشفة فى نطقها ، والأمثلة كثيرة ومنها : تَلَبَّ وتَلَمَّ وغير هذا كثير .

١١ - صرح :

يقال في لغة أهل اليمن الدارجة « صرحه »
للمكان الواسع أو الساحة في وسط الحى تحيط بها
بيوت عدة، وهى كذلك فى النقوش القديمة وتتخذ
موضعا للعبادة ، كما فى النقش (كوريوس -
٣٣٨) .

أقول : والذى فى معجمات العربية أن « الصرح »
هو البيت المنفرد الطويل فى السماء ، وهو القصر
المرتفع . وفى لغة التنزيل : « صَرَحَ مُرَدُّ مِنْ قَوَارِيرِ » .
والجمع صروح قال أبو ذؤيب :

على طُرُقٍ كَنَحُورِ الظِّبَاءِ

تَحَسَّبُ آرَارَمَهُنَّ الصُّرُوحَا .

١٢ - صرع :

ومنه « مِصْرَع » و « مصراع » وهو إحدى
ضِلْفَتَي الباب . وهو بهذا المعنى فى النقوش القديمة
كما فى النقش (جام - ١) .

وقد اشتق اليمنيون الفعل صرع من هذا فى قولهم :
لا تصرع الباب بوجهى .

أقول : وهذا فى معجمات العربية فقد
جاء : ومِصْرَاعَا الباب : بابان منصوبان ينضمَّان
جميعاً ، والمِصْرَعُ لغة فى المِصْرَاعِ .

١٣ - صنن :

أقول : « الصَّنَّة » فى لغة أهل اليمن الدارجة تعنى
الرائحة الكريهة تنبعث من المراحيض ونحوها ، وتطلق على
الرائحة تنبعث من الرجل الذى يبول ولا يتطهر .

وهى كذلك فى النقوش السبئية .

أقول : و « الصَّنَان » فى فصيح العربية ذَقَر
الإبط وغيرها من أعضاء الجسم .

وهذا مما بقى فى كثير من الألسن الدارجة ،
وقلما يرد فى العربية المعاصرة .

١٤ - عرم :

وهذا يدل على أطراف قطعة من الأرض ،
وكأنه الحدُّ لها ، والجمع أعرام .

وقد ورد فى النقوش السبئية وأشار المعجم السبئى
إلى ذلك وأثبت له معنى « السُّدَّ » .

والذى ورد فى « المعجمات » :

العَرَمَةُ والعَرِمَةُ : المُسَنَّةُ . والعَرِمَةُ : سُدٌّ يُعْتَرَضُ بِهِ
الوَادِى ، والجمع عَرِمٌ ، والعَرِمُ : السَّيْلُ الَّذِى لَا يَطَاقُ ،
ومنه قوله تعالى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » .

١٥ - عصر :

الفعل « عصر » فى لغة أهل اليمن الدارجة
بمعنى « تصارع » ، يقال : تعاصر فلان مع صاحبه ،

أى تصارعا . وهو كذلك فى النقوش القديمة كما فى
النقش (جام - ٧٠٠) .

أقول : وهذا هو مقلوب الفعل « صرع » فى
فصحى العربية ، والقلب كثير فى اللغات الدارجة ،
وقد ترد الكلمة ومقلوبها فى فصحى العربية نحو :
صاعقة وصاقعة ، ومسرح ، ومرسح ، وكلاهما فصحى .
١٦ - فقل :

يقال فى بعض جهات مدينة صنعاء « أفقل »
ويريدون بها الكومة من الغلة .

واستعمل هذا أيضاً للدلالة على حصاد الزرع ،
وهو كذلك فى النقوش القديمة .

و« الفقل : التنية فى لغة أهل اليمن » كذاورد
فى المعجمات العربية القديمة .

١٧ - قرع :

« القرع » فى لغة أهل اليمن الدارجة ما يؤخذ من
الطعام فى الصباح .

وهذا مما نقف عليه فى النقوش القديمة كما
فى النقش (نامى - ١٢) .

ومن هذا القرعة « هى كيس من جلد

الغنم يضع فيها الراعى طعامه .

أقول : وليس فى هذه المادة التى قيل فيها الكثير
فى معجمات العربية إلا « القرع » وهو حمل
اليقطين الذى يؤكل .

١٨ - كرف :

أقول : و« الكريف » من مصطلح السقى ، وهو
الماء (أى المطر) يجتمع فى الحوض أو الحفرة الكبيرة .
قال صاحب « بلوغ المرام »^(١) : الكريفة : كلمة يمنية
بمعنى صهريج أو مغارة ، وما زالت معروفة . وهى بهذا
المعنى فى النقش (جام - ٨٦٧) .

أقول : وفى معجمات العربية « الكرف » هو
الدلو من جلد واحد .

١٩ - لفى :

هو الفعل « لفى يلفى » ، وهو فى لغة أهل
صنعاء وما جاورها بمعنى « لحق ووجد » .

وقد ورد فى النقوش القديمة كذلك كما فى
النقش (جام - ٦٦٥) .

أقول : وهو « ألقى » المزيد فى المعجمات ومعناه
« وجد » أيضاً ، وهو معروف .

٢٠ - ماجل :

« الماغل » بكسر الجيم فى عامة بلاد اليمن يفيد

(١) بلوغ المرام فى شرح مسك الختام للقاضى حسين بن أحمد العريشى (ط . بيروت ، مكتبة اليمن الكبرى) .

« البركة » أو الحوض ، والجمع « ماجلات » وهي

بالجيم التي هي قاف في الأصل (مائل) . والكلمة

في الأصل تعني جبلا بالقرب من « مأرب » وقد أقيم

السدين شقيقه كما ورد في النقش (كروبس - ٦٢١) .

وقد عثر على هذا اللفظ في نقشين أحدهما في مأرب ،

والآخر في منطقة حاز من همدان وهما بالقاف .

إن البديل يعرض للقاف والجيم ، يقال : فَلَقَ وفلج

، وفَرَّقَ وفَرَجَ وغير ذلك .

و« الماغل » لدى المعاصرين من أهل اليمن هو

الحوض .

أقول : وفي معجمات العربية :

مَقْلَةٌ في الماء : غَمَسَةٌ وغطه يَمْقُلُهُ مَقْلًا .

٢١ - مسر :

و « المسر » في صنعاء وغيرها يفيد إزالة الوحل

وغيره من البثر ، وهي كذلك في النقوش القديمة كما

في النقش (كوربوس - ٥٤٠) .

أقول : وقريب من هذا ما في المعجمات العربية فقد

جاء : مَسَرَ الشَّيْءَ يَمْسُرُهُ مَسْرًا : استخرجه من ضيق .

٢٢ - وثر :

و « الموتر » في صنعاء يعني الحفرة التي تُحْفَرُ

فيكون فيها أسس البناء للبيت وغيره . وهي كذلك

في النقوش السبئية كما في (ربرتوار - ٣٩١٣)

و (ربرتوار - ٤٦٢٦) وليس لنا في معجمات

العربية ما يقرب من هذا .

٢٣ - وثن :

و« الوثن » في صنعاء يعني الحجر يوضع فوق

قبر المرأة يميزه عن قبر الرجل ، والوثن وجمعه أوثان

نصب من حجر ، كما في النقش (ربرتوار - ٤٠٨٨) .

وفي المعجم السبئي : إن « وثن » نصب من حجر

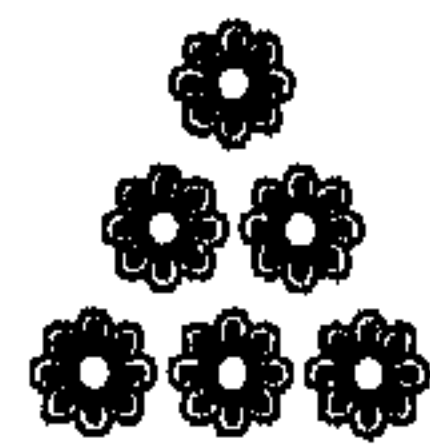
علامة للحد .

وبعد فهذا شيء استقرت به مما يدرج به اليمينيون

حبسته على هذا الموجز .

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق



التعريب بين التفكير والتعبير للأستاذ الدكتور كمال بشير

ينطلق الحديث من وقت إلى آخر فى عالمنا العربى مناديا بوجوب تعريب العلوم باعتماد اللغة العربية لغة التدريس والتأليف والبحث العلمى والتقنيات الحديثة فى جامعاتنا ومعاهدنا . وهناك من الدارسين أهل الاختصاص من لم يعيروا هذا النداء أى اهتمام ، بل ربما عارضه بعضهم وأطلقوا شعارات أخرى ترمى إلى إسكات هذا النداء والتشويش عليه حتى لا ينفذ إلى الأذان ويخرج إلى حيز التنفيذ عاجلا أو آجلا . ولا نعدم فى الوقت نفسه أن نجد من يقف وسط المعركة حائرا ، لا يدري إلى أى من القبيلتين ينتسب ، إما لجهله أعماق القضية ، وإما عجزا عن تقديم يد العون لهؤلاء أو أولئك .

ونحن من جانبنا نؤيد « التعريب » من حيث المبدأ . والمبدأ أشبه شىء بالدستور يحتاج إلى تفسير وضبط لأبعاده وأهدافه ، وتعرّف مجالات تطبيقه ، وبيئة هذا التطبيق وزمانه . وهذا يقتضى منا إلقاء الضوء على بعض الأفكار والجوانب المتعلقة بهذا المبدأ إيجابا وسلبا ، والتي قد يغيب عن بعضهم من القبيلتين كليهما إدراك حقيقة الأمر فيها وما يلقّها من مشكلات وصعوبات .

وأول ذلك تحديد مفهوم « التعريب » فى التوظيف العربى المعاصر ، إذ إن المصطلحات هى مفاتيح العلوم ، فينبغى أن تكون ذات قدرة وكفاية للكشف عن مغاليق ما نودّ الوصول إليه ، ولا يكون ذلك - بطبيعة الحال - إلا بإخضاعها للنظر والتدقيق مبنئى ومعنى .

يُوظّف « التعريب » - مصطلحا - فى الثقافة العربية المعاصرة فى أربعة معانٍ ، مختلطة الحدود فى أذهان الكثيرين منا فى النظر والتطبيق على سواء .

* ألقى البحث فى الجلسة الثالثة للمؤتمر المنعقدة يوم الأربعاء ١٨ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٤ م

المعنى الأول :

قد يطلق « التعريب » فى ميادين الثقافة العامة ويقصد به إخضاع النصوص أو الأعمال الأجنبية - علمية أو أدبية أو فنية - لشيء من التصرف فى مبنائها ومعناها ، وذلك بتطويعها لمقتضيات الظروف وأنماط التقاليد الاجتماعية والثقافة العربية ، وجعلها ذات سمة عربية فى الإطار العام .

وقد يقتضى ذلك شيئا من التغيير فى الجزئيات وبعض التفاصيل بذكر أفكار أو أمثلة أو نماذج عربية فى صلب النص أو العمل المنقول .

ومعنى هذا أن النقل - فى حالة النصوص المكتوبة - يأخذ طريقين متصلين غير منفصلين . أحدهما ترجمة الفكرة العامة أو العناصر الرئيسية للموضوع ، وثانيهما حشو النص المنقول بأفكار جزئية عربية ، أو التحوير والتعديل فى بعض نقاطه أو حذف شيء أو أشياء منه ، حتى يأخذ الطابع العربى بصورة من الصور ، وكثيرا ما يحدث هذا الضرب من « التعريب » فى المسرحيات

والأفلام ونحوها وبعض الأعمال العلمية ، وقد يسمى بالاختباس أحيانا ، أى اقتباس الفكر الرئيسية وصوغها فى بناء عربى .

المعنى الثانى :

وهو شديد الصلة بالأول ، حيث يطلق " التعريب " ويراد به الترجمة ، وهذا المفهوم يأخذ به بعض الناس - مثقفين وغير مثقفين - بطريق التجوُّز أو عن سوء فهم أو جهل بالمعانى الدقيقة للمصطلحات . وهذا المسلك - فى رأينا - تنقصه الدقة أو - فى الأصح - هو ضرب من الخطأ المحض . إن الترجمة تعنى نقل معانى الكلمات أو العبارات والنصوص الأجنبية والتعبير عنها بكلمات وعبارات مقابلة لها فى اللغة المنقول إليها ، سواء أكانت هذه اللغة المنقول إليها عربية أم غير عربية ، فى حين أن " التعريب " - فى أدق معانيه - محصور فى النقل إلى العربية ، (والعربية وحدها) . وقد يكون النقل فى مجال الألفاظ ذاتها ، وهو الأشيع والأكثر استعمالا لمصطلح " التعريب " (انظر المعنى الثالث) أو بتطويع النصوص على الوجه الذى

بيننا فى المعنى الأول . وقد يراد بالتعريب اعتماد اللغة العربية لغة العلم والفن بدلا من اللغات الأجنبية (انظر المعنى الرابع) .

المعنى الثالث :

وهو الأشهر فى الاستعمال والأكثر استقرارا واتباعا فى مجال العلم ، وبخاصة فى المصطلحات ونحوها . والمقصود به هنا نقل اللفظة الأجنبية بحالها إلى اللغة العربية ، مع نوع من التعديل أو التغيير فى صورتها بالقدر الذى يتمشى مع القواعد الصوتية والصرفية فى اللغة العربية ، وفقا للخطوط العريضة لضوابط هذين الجانبين فى لغتنا . فالتعريب هنا إذن محصورٌ مفهومٌ فى مجال الألفاظ ونحوها من حيث المبنى والشكل .

والتعريب بهذا المعنى الثالث (أى تطويع الألفاظ الأجنبية بردها إلى الصور العربية صوتيا وصرفيا) هو ما يشيع العمل به فى نقل العلوم والفنون الحديثة ، غير أن استخدامه فى هذا النقل له حدود وضوابط من حيث الكيف والكم . لقد سجل الأقدمون بعض القواعد العامة التى ينبغى اتباعها عند تعريب

المصطلحات ، فاشتروا شروطا صوتية وأخرى صرفية للألفاظ المنقولة ، حتى تأخذ السمة العربية التى تؤهلها للانتظام فى الثروة اللفظية العربية ، وحتى يسهل عليها التأقلم وتصبح " عربية " بالاستعمال الخاص والعام معا . وهذه الشروط كلها أو بعضها ما زال بعض الباحثين يتمسكون بها حتى وقتنا هذا ، قصدا إلى إزاحة الغربة عن هذه الألفاظ ومنحها أريّة مألوفة مأنوسة .

والحق أن اشتراط حدود معينة للصور النطقية والصرفية للمصطلحات المنقولة بالتعريب ينبغى ألا يؤخذ على إطلاقه . وإنما يعالج الأمر بحسب الظروف والحالات التى تواجهنا ، شريطة أن يكون صوغها على وفق المؤلف لألسنة العرب وأذانهم قدر المستطاع .

أما من حيث الكم والأقدار المنقولة من الألفاظ بالتعريب فهناك آراء ؛ هناك من لا يجيز التعريب ألبتة ، لأن فيه - على ما يرى أصحاب هذا الرأى - إفسادا للعربية وتشويها لمادتها . وعندهم أن الترجمة هى الطريق الأوفق والأولى بالاتباع فى هذه السبيل .

وهناك فى الجانب الآخر من يرى فتح باب التعريب على إطلاقه ، دون شرط أو قيد ، على أساس أن المصطلح المعرب أقرب فى الدلالة على المفهوم المقصود وأكثر وفاء بأغراض التعبير من الترجمة . أما المنصفون من الدارسين والباحثين فلا يرون بأسا من التعريب ، وبخاصة فى المراحل الأولى من نقل العلوم والفنون الأجنبية ، ولكن بأقذار مناسبة ، وحيث تكون الحاجة ملحة إلى هذا النهج . وهم فى ذلك يستدلون بما جرى فى القديم ، حيث أقدم علماؤنا على تعريب أعداد كبيرة من المصطلحات ذات الأهمية الخاصة ، على ما هو معروف ومشهور .

ونحن من جانبنا نأخذ بهذا رأى ، ولكن بشروطنا الخاصة التى تتمثل فى وجوب وضع التعريب تاليا للترجمة فى المحاولة والاجتهاد ، وفى وضع نوع من الضوابط تحكم هذا النقل بالتعريب .

المعنى الرابع :

يشيع بين أهل الاختصاص من الدارسين العرب فى السنوات الأخيرة توظيف مصطلح "

التعريب " فى مفهوم خاص ، وإن كان هذا المفهوم ما يزال غائما فى أذهان الكثيرين منهم . وأحسب أن أوضح تحديد له وأدق تفسير لمعناه فى سياق المعارك الدائرة حوله الآن ، هو ما قدمه لنا الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى فى بحث له اشترك به فى فعاليات المؤتمر الثامن والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٢ . ومعلوم أن هذا المؤتمر قد عُقد ورُتبت كل أعماله وبحوثه لمناقشة قضية التعريب بهذا المفهوم الخاص (من جميع زواياه وجوانبه) الذى حدده الدكتور خليفة بقوله : " فالتعريب فى هذا المصطلح الذى يكون محور مؤتمر مجمعنا لهذا العام ، يعنى بالتحديد تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا التى تضم مئات الأقسام العلمية ، من التدريس باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرهما إلى التدريس باللغة العربية ، واعتماد اللغة العربية لغة التدريس الجامعى والبحث العلمى والتقنيات الحديثة " .

هذا هو " التعريب " ذو المفهوم الخاص الذي نظن أو يُفترض أن المناقشات الجارية على الساحة العربية منذ فترة قصيرة تدور حوله تأييداً أو معارضةً - وعلى الرغم من وضوح هذا المفهوم للتعريب والأخذ به عند جملة من الباحثين العارفين ، فالملاحظ أن هذا المفهوم قد اقتصر على التعريب اللغوي ، أى اعتماد العربية لغة العلم تدريساً وبحثاً وتأليفاً بدلاً من اللغات الأجنبية . وهذا التفسير للتعريب تفسير جائز ومقبول بوجه من الوجوه ، ولكنه لا ينفذ إلى جوهر الموضوع ولا يصل بنا إلى أعماق القضية الأساسية ، قضية " التبعية " العلمية للآخرين ، والسير من خلفهم والتلقى عنهم دون مشاركة فاعلة .

التعريب عندنا يعنى تعريب الفكر واللغة معاً ، إذ الاقتصار على التعريب اللغوي علاج قاصر إذا لم يعتمد على تفكير عربى ، لأن التوظيف اللغوي المحض غير الصادر عن فكر عربى قد يكون بالترجمة أو بنقل أفكار الآخرين والاقتباس منها وصوغ ذلك كله باللغة

العربية . ومردود ذلك أننا نظل تابعين فكرياً وإن بدا أننا مستقلون لغوياً . والتبعية الفكرية هى الداء الحقيقى الذى يفرز أدواء أخرى تمخر فى عظام الجسم العربى . وعلى رأسها داء التعريب اللغوى الذى توجهت إليه أنظار الدارسين ، وجعلوه محور مناقشاتهم ومعاركهم غافلين عن مصدره الذى يتولد عنه ويمدّه بعناصر وجوده ، وهو التعريب الفكرى . لا ننكر أن بعض الباحثين قد أشاروا إلى قضية تعريب الفكر هذه ، ولكنها جاءت إشارات خاطفة وردت هنا وهناك فى سياق الحديث عن التعريب اللغوى الذى رأوه السبيل الوحيد المفضى إلى تعريب الفكر . يقول الدكتور خليفة فى بحثه المشار إليه سابقاً : " هذا المدلول الحديث (مشيراً إلى تحديده السابق للتعريب) .. يعنى التحول من استعمال لغة أجنبية فُرضت على المؤسسات العامة والخاصة إلى استعمال اللغة العربية وتأصيلها لغة للفكر والتفكير " . صحيح أن تعريب اللغة له دور لا يُنكر فى تعريب الفكر ، إذ بين الجانبين ارتباط وثيق ،

ولكن هناك عوامل وعناصر أخرى كثيرة ذات فعالية غير منكورة في تنمية الفكر وتعميقه وتنوع أبعاده وجوانبه ، كالخبرة والثقافة العامة وسعة الاطلاع على مصادر المعرفة العامة والخاصة ، سواء أكانت هذه المعارف عربية أم أجنبية . هذه العوامل مجتمعة (وغيرها كثير) هي الأدوات الفاعلة في تحريك الفكر وتنشيطه ودفعه إلى الخلق والابتكار ، بحيث يصبح قادرا على التفاعل والتعامل مع ما يجرى في الحياة ، والتصرف فيما يقابله أو يواجهه من مشكلات ، ومن ضمنها التعريب اللغوي نفسه . وتعريب الفكر عندنا يعنى بالضرورة أن يكون للعرب دور إيجابي فاعل ذو خصوصية مميّزة ، لها نوع من الكيان المؤثر في السوق العلمية والفنية وجميع مجالات الحياة الإنسانية . ويتم ذلك في مجال العلوم بالمشاركة والمساهمة في النشاط العلمي بمجالاته المختلفة ، كأن يكون لنا نصيب في الابتداع والابتكار أو الإضافة والتجديد أو التعديل والتطوير ، أو حتى التفسير والتطويع للتطبيق السليم الراشد .

وهذه المشاركة الفاعلة وتلك المساهمة الإيجابية لا تأتي من فراغ ، وإنما أساسها العمل الدائب في الاطلاع والتحصيل والاستيعاب والهضم لأعمال الآخرين ، بالإضافة إلى محصول الدارس نفسه ومخزون معارفه وثقافته . ثم يقلّب هذا الدارس كل ذلك في فكره العربي في إطار شخصيته وموقعه ، حتى تستقر لديه حصيلة معرفية أصيلة يستطيع - إن شاء - أن يعبر عنها باللغة العربية في سهولة ويسر ، شريطة أن يكون مسيطرا على أدوات التعبير بها . ومعنى هذا أن التعريب اللغوي العربي يولّد التفكير العربي ، فإن الإنسان يعبر باللغة التي يفكر بها . إنك إن أعملت فكرك باللغة العربية كتبت بها واستطعت أن توظفها إذا شئت ، وأنى شئت . والذين يوظفون اللغات الأجنبية أو يفضلون توظيفها في أعمالهم العلمية هم واحد من اثنين ، إما أنهم يفكرون بهذه اللغات ، إما أنهم يختارون الطريق السهل ، وهو مجرد نقل مادة جاهزة باللغات الأجنبية ، وتكون المسألة حينئذ أشبه باستيراد

" فيلم " صُنِعَ فى بلد ما وعرض على " شاشاتنا " بصورته ومضمونه أو بمبناه ومعناه ، دون أن يكون لنا دور فى هذا العرض سوى التسلية وتزجية الفراغ ، وربما ضياع الوقت أيضا .

ومعلوم بالضرورة ، أن التفكير العربى المولّد للتعبير بالعربية يحتاج إلى مخزون عقلى من هذه اللغة وحصيلة من نظمها وأساليبها مناسبة للتخصّص أو العلم المعين . فإذا كان هذا التخصّص أو ذاك العلم جديداً بالنسبة للدارس أو غير مستقر الأصول عنده ، فلا مناص له من العود إلى لغة الأصل والتفكير بها ، حتى يستوعب ويهضم ، ثم يُخْرِج - بَعْدُ - ما يستوعب ويهضم فى عبارات عربية .

ومهما يكن الأمر ، فالتعريب لغويا فقط أو لغويا وفكريا ، له أنصار ومعارضون ، ولكل فريق حججه ومسوّغات اتجاهه . ونحن كما ألمحنا سابقا من أنصار " التعريب " شريطة أن يكون التعريب تعريبا فكريا ولغويا معا . أما حججنا لوجوب تعريب الفكر

فواضحة لا تحتاج إلى دليل . ويكفى أن نقرر أن تعريب الفكر فيه تخليصنا من التبعية العلمية ، ومنحنا فرصة التفاعل الإيجابى فى السوق العلمية . وهو تفاعل من شأنه أن يزيد فى محصولنا العلمى وينمى قدراتنا على الابتداع والابتكار ، ومن ثمّ تصبح لنا " هويّة " علمية وشخصية فاعلة لها دورها وموقعها فى كتائب الزاحفين نحو خير البشرية بالنظر والدرس والإنتاج الأصيل . ينبغى أن نضيف لبنة إلى البناء ، ولا يعقل أن نظل قاعدين أو متفرجين أو ناقلين ، فنعرض أنفسنا للتخلف أو الضياع وسط هذا العالم الهائج المائج بالأفكار فى شتى حقول العلم والمعرفة .

وليس يخفى على أحد أن تعريب الفكر (فى حقول العلم فى الأقل) قد يأخذ وقتا طويلا لكثرة عوامله وعناصره ، وتشابكها ، الأمر الذى يقتضى منا النظر فى هذه العوامل والعناصر ، واختيار أقربهما مَنالا وأهمها فعالية فى هذا السبيل . ذلك العامل أو العنصر فى رأينا هو التعريب اللغوى ، فلنبداً به ، ولكن بتخطيط محكم وتطبيق واعٍ ، وإن بالتدريج .

التعريب اللغوى : مؤيدوه ومعارضوه

المؤيدون

التعريب اللغوى هو المنطلق الحقيقى لتعريب الفكر ، ونحن نراه خطوة أساسية فى هذه السبيل ، بالإضافة إلى أنه أصبح ضرورة قومية وعلمية ، لصالح العرب والعربية ذاتها .
وفيما يلى جملة من الأسباب التى ترشح رأى المؤيد للقبول .

١ - التعريب مطلب قومى

ليس من المقبول شكلا وموضوعا أن يظل العلم (أو بعض فروعه) فى البلاد العربية أسيرا للغات أجنبية تفكيرا وتناولا وتحصيلا حتى هذه اللحظة ، ذلك أن إيثار اللغات الأجنبية على لغتنا القومية فيه تقليل لشأنها وإضعاف لمنزلتها بين الناس . وربما يؤدي ذلك فى النهاية إلى خلق جو علمى ثقافى مضطرب ، لا هو إلى الأجنبى ينتمى ، ولا هو إلى العروبة ينتسب وإنما هو جو فاقد " الهوية " مشتت السمات مشوه القسمات ، ليس له حدود ضابطة ولا أصول ثابتة . وهذا هو الضياع القومى والانهيال الفكرى الذى يندر بمحو روح الانتماء

التي تعد اللغة قطبها الذى يتجسد وتتمثل فيه كل القيم والمثل وأنماط السلوك الفارقة بين قوم وقوم والمميّزة لأمة من أخرى .

٢ - التعريب مطلب علمى

توظيف العربية فى العلوم ييسر للطلاب والباحث العربى العملية العلمية والتعليمية ، ويساعدهمها على سرعة الفهم والتحصيل والإنتاج . والقول بأن الطالب العادى تعوزه أدوات التعبير بالعربية الفصيحة الصحيحة قول يحمل بطلانه فى طياته . إذا كان هذا الطالب ضعيفا فى لغته القومية فهو فى اللغة الأجنبية أضعف ، وإذا كان عاجزا عن توظيف اللغة العربية فهو فى التعامل مع اللغات الأجنبية أعجز . ومنطق الأشياء يقرّر أن الإنسان مهما جادت حصيلته من اللغة الأجنبية ، فلن يقوى على التعامل بها أو توظيفها بالقدر الذى يمنحه لسان أمّه ، الذى استقر فى عقله ووجدانه ولازمه منذ نعومة أظفاره ، ويروى أن " كلوت " بك ناظر مدرسة الطب المصرية فى عهدها الأولى ، كان حريصا على ترجمة المواد الطبية من الفرنسية إلى العربية ، وفاء بهذا

المعنى نفسه . ويقول فى ذلك: « إن التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة ، كما لا ينتج عنه توطيد العلم أو تعميم نفعه "

٣ - التعريب مطلب لغوى

التعريب يمنح لغتنا القومية فرصة ذهبية بتمكينها من التفاعل الحى والكشف عن طاقتها ، تلك الطاقات والقدرات التى لم يحاول بعض الدارسين تنشيطها واستغلالها ، وتركوها معطلة - قصداً أو عن غير قصد - حتى غدت فى نظرهم عاجزة عن الوفاء بحاجاتهم من وسائل التعبير وأدواته . ومن ثم توهّموا عجزاً طبيعياً فيها وعُقّموا خَلْقياً فى مادتها ، فانصرفوا عنها وألقوا بها خارج أسوار معاهدهم واستبدلوا بها لُسُنًا أعجمية . ومُنَحُ العربيةِ فرصة التفاعل فى البيئات العلمية يزيد من ثروتها ، وينمى محصولها ، كما يساعد الدارسين على التفكير بها ، الأمر الذى يؤدى إلى إلفها والتعامل بها ، وبذلك ينزاح عنها توهم ضعفها واتهامها بالعجز عن ملاحقة العلوم وما يجد فيها من تطوّر .

٤ - التعريب مطلب اجتماعى

الإصرار على توظيف اللغات الأجنبية فى العلوم قد يؤخذ دليلاً على وجود نوع من النزعة إلى إظهار التفوق والامتياز ، على أساس أن هذه اللغات إنما هى لأقوام محسوبين فى عداد الأمم التى يُنظر إليها على أنها جديرة بالتقليد فى مجالات الحياة بوجه عام وفى مجال العلوم فى أقل تقدير . وهذه النزعة - إن صحّ وجودها ويبدو أن الأمر كذلك - لها وجهان من الخطأ والخطر من الوجهة الثقافية والاجتماعية على المستويين العام والخاص . أما أول هذين الوجهين فيتمثل فى إحداث هزة فى السلوك الاجتماعى ، إذ ربما تستهوى هذه النزعة بعضاً من الناس - مثقفين وغير مثقفين - وتجرحهم إلى السير فى هذا الدرب الخادع ، وينحازون - قصداً أو عن غير قصد - إلى كل ما هو مستورد أو منقول من ألوان العلم والثقافة ، ويحاولون التزيّن أو التجميل بهذه الألوان تكلفاً واصطناعاً ، أو ادّعاء بأنهم طبقة متميّزة أو أنهم قطعوا شوطاً فى الوصول إلى مدارج رفيعة من سلم الطبقات الاجتماعية . ومن ثم نرى هؤلاء

الناس وأمثالهم يعلنون ويلخّون في إعلان
عن أنفسهم باتخاذ أنماط من السلوك
الاجتماعى ، توحى بهذا الامتياز المتوهم .
وبأتى على القمة من وسائل هذا الإعلان
توظيف اللغات الأجنبية في حياتهم العامة
والخاصة ، والتشدد بكلمات منها مشوّهة ،
مغلوبة نطقا واستخداما ، كلما ألحّت عليهم
نزعة الاستعلاء وتحركت في نفوسهم فكرة
الامتياز . وربما يلخّص هذا المسلك كله قول
القائلين : إن السرّ في انحياز بعضهم إلى
توظيف اللغات الأجنبية في العلوم وغيرها هو
محاولة الاحتفاظ بأرستقراطية المهنة وإظهار
" الفوقية " في السلم الاجتماعى والثقافى .

وأما ثانى هذين الوجهين فهو ذو نسب قريب
من الوجه الأول ومرتّب عليه نفسيا وعلميا .
ذلك أن السلوك الاجتماعى - مهما كانت
مصادره وأنماطه - لا بد - إن عاجلا أو آجلا -
أن يصبح تقليداً وعادةً ، فتستقر ملامحه
وقسماته في النفس وتنفذ إلى الفكر والعقل ،
وتكون اتجاهاً نفسياً ينشد " التغريب "
وتتطلع إليه كى تهيئ لنفسها بيئة على

شاكلتها ، تضمن لها النمو وتمنحها عوامل
البقاء والاستمرارية . والنتيجة الحتمية لهذا
كله فقدان روح الانتماء القومى ، وإن
بالتدريج ، وتعويد النفس على التقليد
والتبعية في مجال العلم والثقافة وحرمانها من
الأخذ بأسباب الابتكار والاعتماد على النفس .
وذلك - للأسف - ما نلمس بعض مظاهره
وأثاره واضحة في ميدان العلوم وبعض
مناحي الفكر والثقافة في العالم العربى
بأجمعه .

المعارضون

هناك في الجانب الآخر أقوام يقفون موقف
المعارضة لمبدأ التعريب ، ويرسلون صرخاتهم
بانفعال وحماس شديدين ، منادين بأن الدعوة
إلى التعريب دعوة إلى التخلف العلمى
والجمود الفكرى . ذلك أنهم متصوّرون أن هذا
النهج سوف يقود إلى عزلنا عن العالم المتقدم
وبباعد بيننا وبين ما يجرى في حقوله العلمية
من تطور وابتداع متلاحقين . ويحتج هؤلاء
لرفضهم هذه الدعوة بمجموعة من الحجج ، نشير
إلى اثنتين منهما لأهميتهما ولمحاولة الكشف

عما يغلفهما من غموض وما يلابسهما من سوء تقدير وتجاوز في النظر .

١ - قصور اللغة العربية وعجز أدواتها عن التعبير

يدعى هؤلاء أن اللغة العربية لغة جامدة غير متطورة ، وقفت مادتها وقوالب التعبير فيها عند حدٍّ لا يمكنها من مواكبة العلوم الحديثة أو الوفاء بوسائلها اللغوية ، وهي وسائل متجددة سريعة الخطو في الخلق والابتداع . وإيثار العربية القاصرة عن ملاحظة هذه الاستمرارية في التجديد والابتكار على اللغات الأجنبية فيه تعطيل لمسيرتنا العلمية وحرمان لنا من المشاركة الفعّالة أو الأخذ بنصيب مما ينعم به الآخرون من علم ومعرفة .

والقول بقصور العربية أو عجزها عن أداء دورها في مجال التعريب قول خالٍ من النصفة وتعوزه الحجة . هذا الادعاء في رأينا إنما يصدر عن واحد من اثنين من القائلين به ، قد يدّعيه إنسان تنقصه المعرفة بحقيقة اللغة وطبيعتها ، وما ينبغي أن تكون عليه علاقتها بمجتمعها الذي تعيش فيه ، أو يروج لها مخدوع غير حصيف ، ينشد الانتصار لكل

ما هو أجنبي ويرمى إلى التقليل من شأن مقوماتنا الحضارية وأدواتنا الثقافية .

ولتوضيح الأمر بالنسبة لشبهات هذين الوجهين ، نقول : إن أوجه النقص والقصور في أيّة لغة لا ترجع إلى هذه اللغة بذاتها ، بقدر ما تُنسب إلى أهلها وإلى الظروف العلمية والثقافية التي تلفّها وتتفاعل معها . فكلما حرص أهلها على إمدادها بالزاد ، وكلما ماجت البيئة المعينة بالنشاط العلمي والثقافي ، نهضت اللغة واستجابت لهذا النشاط ، وأخذت في استغلال طاقاتها من الوسائل اللغوية اللازمة للوفاء بحاجاتهم . وكلما جمد التفكير العلمي وتخلّف النشاط الثقافي ، ظلت اللغة في موقعها جامدة ، لا تُبدى حراكا ، ولا تقدم زادا ، لأنها بذلك قد فقدت عوامل النمو وحُرمت من عناصر النضج . إن اللغة تعطى وتأخذ ، ولا يمكن أن يستمر دورها في العطاء ما حُرمت من المنح وتقديم الزاد .

إن الذي حدث - وما يزال يحدث - في حالتنا نحن العرب أن بعض علمائنا في العصر الحديث كفّوا عن الابتكار وجانبوا

التفكير العلمى المبدع ، وقنعوا فى بعض الحالات بالتقليد والنقل . ومن الطبيعى أن نقل الفكرة الأجنبية أو تقليدها يستتبع حتما وبالضرورة نقل الوسائل اللغوية المعبرة عنها ، واستخدام مصطلحاتها الفنية . والمعروف أن العالم المبتكر أو الباحث المنشئ لا يجد صعوبة فى العثور على أدوات تعبيره اللغوى ومصطلحاته . إن هذه الأدوات حاضرة فى ذهنه بصورة من الصور ، لأن انشغال الفكر بالابتكار تصحبه عادة صور لغوية مهروزة أو غائمة فى أول الأمر ، وهى بمثابة القوالب أو الأطر التى تصلح لاحتواء الفكر أو الحقائق التى يشغل بها الباحث الأصل نفسه ، وما عليه بعد إلا أن يخلص هذه الصور اللغوية من غموضها ويعمل على بلورتها ، وذلك بصوغها فى النهاية فى أشكال لغوية واضحة ، معبرة خير تعبير عن فكره وحقائقه .

فلو أن علماءنا عمدوا إلى مثل هذا النهج

فى التفكير العلمى لضمننا ثروة لغوية عربية تواكب ما ينتجون من علم وتفى بحاجات مبتكراتهم ، لارتباط الجانبين (الفكرى واللغوى) ارتباطا وثيقا وجوداً وعدماً . أما التبعية فى التفكير العلمى فلا مناص لها من التبعية اللغوية .

وليس من المبالغة فى شئ أن نقرر مع ما قرره باحثون آخرون فى هذا الشأن من أن " الدعوة إلى استعمال اللغات غير العربية فى دراسة العلوم لم تنبعث من عدم إمكان تيسير استعمال العربية فى العلوم الجديدة ، ولا هى رد فعل على موقف متين فى الدفاع عن الفصحى بمفهومهم الضيق لها ، إنما هى منبعثة من دافع نفسى أعمق ، وهو مدى ضعف إدراكهم لكيانهم العربى ومدى رغبتهم فى الحفاظ عليه وتنميته . إن موقفهم لا ينبعث من اعتقادهم بعجز اللغة العربية ، بقدر ما هو من إعجاب يصل حد الاستسلام للحضارة الغربية^(١) » .

(١) صالح أحمد العلى " أسلوب الكتابة والهوية الثقافية القومية " من مجموعة بحوث ومقالات صادرة عن " مركز دراسات الوحدة العربية " بعنوان " اللغة العربية والوعى القومى " ص ١٧٨ - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م .

٢ - حجب اللغات الأجنبية عزل لمسيرة التطور العلمى :

يتوهم المعارضون أن الدعوة إلى التعريب تعنى - بطريق مباشر أو غير مباشر - إهمال اللغات الأجنبية وإبعادها وإخراجها من الحسبان فى ميادين العلم والثقافة ، فى حين أن هذه اللغات هى الأداة الأساسية والفُعالة التى تمكّننا من ملاحقة ما يجرى فى العالم من نشاط علمى يزيد من معارفنا وينمى قدراتنا وطاقاتنا ، ويدفعنا إلى التعمّق والتجويد . وزحزحة هذه اللغات عن الساحة العلمية تستتبع حتما حصرنا فى دائرة ضيقة تحدّها أسوار العزلة التى تعنى الجمود .

وهذا - فى الحق - وهُم مرفوض ، إذ لم يدر بخلد أى من الداعين إلى التعريب أن ينزلق إلى هذا الوهم أو مجرد التفكير فيه أو الانحياز إلى جانبه . إن الأمر على العكس من ذلك . إن دعاة التعريب ينادون فى الوقت نفسه بضرورة إجادة اللغات الأجنبية بالقدر الذى يسعف المهتمين بالشئون العلمية ويمكّنهم من فتح نوافذ

جديدة تصلهم بالعالم من حولهم وتمنحهم فرصة المشاركة والتفاعل مع الأجواء العلمية هنا وهناك .

وقد نسى الرافضون لدعوة التعريب أن هناك فرقا كبيرا بين إجادة لغة للإفادة منها وفرضها فرضاً على معاهد العلم ، الأمر الذى يؤدى بالضرورة إلى سيطرة هذه اللغة على مقوماتنا العلمية والثقافية والفكرية ، وإلى طرح اللغة القومية جانبا ، فيجفّ ماؤها وينضب معينها ، فتكف عن المنح والعطاء ، ومن ثم يرفع المعارضون أصواتهم ، معلّنين عجز العربية وقصورها عن أداء دورها فى هذا المجال .

وقد يزيد هؤلاء المعارضون من حججهم ، بإبراز المصطلحات العلمية أمام الداعين إلى التعريب ، إذ إن غالبية هذه المصطلحات لها صفة العالمية ، ولا تستطيع لغة واحدة أن تتعامل معها وتنقلها إليها بأدواتها التعبيرية الخاصة ، فتتفصم العرى بين الدارسين وتضطرب الأمور وتختلط مفاتيح العلم المتمثلة فى هذه المصطلحات .

وحقيقة الأمر أن المصطلحات العلمية مشكلة قائمة بذاتها ، سواء أخذنا بالتعريب أم لم نأخذ به . ومن ثمّ تستحق وقفة خاصة للنظر فى أبعادها وإبداء الرأى فى معالجتها ، وأملنا أن نعود إلى ذلك فى فرصة أخرى بمشيئة الله . ومع ذلك يمكننا فى هذا السياق - سياق تعريب العلم فكريا ولغويا - أن نشير إلى جملة من الخطوط العريضة التى يتمشى تطبيقها مع مبدأ التعريب وفى بحاجة الداعين إلى هذا المبدأ . ويمكن أن نوجز تصورنا لهذا المنهج فى الأمور التالية :

أولا : فى حالة الابتكار أو التعريب الفكرى :

إذا كان الباحث المعين مبتكرا فى تخصصه ومجال مسئوليته العلمية ، فليست هناك صعوبة ذات بال تقف فى طريق ابتكار مصطلحاته ووضعها بالطريق المعهود فى وضع المصطلحات . إنه صاحب المادة العلمية فى هذه الحالة ، وبمقدوره حينئذ أن يصنع مفاتيحها ويشكلها وفقًا لما صُنِعَتْ له من علم وفن . وهذا هو الحال المعهود عند كل الرواد من

الدارسين الذين يأتون بالجديد ، معتمدين على أفكارهم ومحصلوهم المعرفى . وقد تشيع ابتكاراتهم العلمية حاملة معها مفاتيحها ، أى مصطلحاتها ، وتصبح تراثا عاما يمتاح منه الماثحون هنا وهناك بدون تفريق - حدث هذا أو مثله أيام الازدهار الفكرى والعلمى فى تاريخ العرب والمسلمين .

وهذا بالطبع يقتضى أن يكون الباحث ذا علم واسع ودراية عميقة بالثروة اللفظية للغة العربية وطرائق تصرفاتها فى الكلمات من اشتقاق ونحت وتوليد للمعانى بالتوسيع فى دلالات كلمات قديمة أو بالتوظيف المجازى لها .. إلخ . فالمفكر المبدع المدرك لأسرار لغته يستطيع أن يلبى حاجاته من المصطلحات متى كانت الفكرة العلمية واضحة لديه ومتى كان هو مدركا لأبعادها وأعماقها ، وهذا شأن المبدعين فى حقيقة الأمر .

ثانيا : فى حالة النقل أو التعريب اللغوى

أما إذا كان المصطلح منقولاً من لغة أجنبية ، لخصوصية فى وصفه وتوظيفه أو لشهرته وعلميته ، أو لأى سبب علمى آخر ، فإن هذا

النقل يشكل صعوبة حقيقية فى التعامل معه وفى " أقلّمته " وذلك لشدة ارتباطه بمادته التى صنع هذا المصطلح لبلورتها والكشف عن مغاليقها . وليس من النادر أن تكون هذه المادة نفسها غير واضحة تمام الوضوح بالنسبة للناقلين ، إمّا لجذّتها وإمّا لضعف فى استيعابها وهضمها ، الأمر الذى من شأنه أن يزيد المسألة تعقيدا واضطرابا .

ومع هذا فقد حاول الدارسون اقتراح أساليب معينة يمكن اتباعها فى هذا النقل ، متفقين تارة ومختلفين أخرى فى ترتيبها وأولوياتها . وهذا هو اختيارنا لترتيب هذه الأساليب فى سياق قضيتنا الحالية ، وهى محاولة تعريب العلوم :

١ - الترجمة

٢ - التعريب

٣ - نقل المصطلح الأجنبى بحاله .

الترجمة :

نحن فى سياق تعريب العلوم نفضل البدء بمحاولة ترجمة المصطلحات الأجنبية التى يُراد نقلها إلى ساحتنا العلمية ، على الرغم مما قد

تنتظمه الترجمة من مزالق وتضحيات بحقائق الأمور فى قليل أو كثير . نفضل ذلك ، لأن فى الترجمة مزايا علمية وقومية ، يتمثل أهمها فى الظفر بحقائق علمية ، نكسوها لباسا عربيا يرشحها للتمثيل والهضم والاستيعاب فى سهولة ويسر ، بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من إثراء اللغة العربية وتطويع مادتها .

واختيار البدء بالترجمة مشروط بشرطين متلازمين .
أولهما : الفهم التام الدقيق لمفهوم المصطلح الأجنبى .
ثانيهما : أن يكون المصطلح العربى المقابل مناسباً نطقاً وصياغة ، خالياً من الشذوذ والإغراب فى أصواته وبنائه ، أى أن تكون صورته النطقية مقبولة مستساغة وشكله الصرفى مأنوساً ، بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره فى الوسط العلمى المعين . فإذا كان المصطلح العربى المناسب موجوداً بالفعل فيها ونعمت ، وإلا لجأنا إلى ابتكاره بطريق التوليد .

والتوليد له جانبان : توليد فى الصيغة وتوليد فى الدلالة .

والتوليد فى الصيغة : قد يكون بالوضع أو النحت . ونعنى بالوضع ابتكار كلمة جديدة من أصل عربى ، بطريق الاشتقاق أو القياس وما إلى ذلك من ضروب التوليد اللفظى . فإن لم يسعفنا الحال لجأنا إلى النحت ، وهو منهج مأخوذ به فى اللغة العربية منذ أقدم عصورها .

أما التوليد فى الدلالة : فنعنى به توظيف كلمات قديمة فى معنى جديد ، بالتوسيع فى دلالاتها على ضرب من المجاز ، أو تعدد الدلالات . فالتوليد إذن يعنى اختراع كلمة جديدة ، أو توظيف كلمة قديمة فى معنى جديد .

التعريب

وإذا لم يوفق الدارس إلى ترجمة مصطلحاته الأجنبية إلى ما يقابلها فى العربية بالوسائل المشار إليها سابقا فلا ضير عليه ، بل ربما يتحتم عليه أن يلجأ إلى التعريب . والتعريب أسلوب مشروع ، وله أحكامه وضوابطه التى تعنى فى الأساس إخضاع المصطلح الأجنبى لشيء من التعديل أو التغيير فى بنيته ، ليطابق النظم الصوتية والصرفية فى العربية . فالتعريب فى مجال المصطلحات

تابع للترجمة وتالٍ لها ، متى كانت الترجمة الدقيقة عصية المنال ، أو كانت تنتظم توضحية بدقائق المعانى ومفاهيم المصطلح الأجنبى .

نقل المصطلح الأجنبى بحاله :

التعريب بضوابطه وأحكامه المقررة قد يصعب الأخذ به أحيانا ، ومن ثم لا مانع لدينا من نقل المصطلح الأجنبى بصورته الأصلية كاملة غير منقوصة ، حتى يستقر مفهومه ويتضح بصورة لا لبس فيها ولا غموض . ولا ضير بعد أن يعود إليه الدارس لترجمته ، إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

وليس فى التعريب أو النقل الحرفى للمصطلح ضرر أو منقصة فى حالة استحالة الترجمة . إنما الضرر والمنقصة فى التوضحية بحقائق العلوم والتورط فى استخدام مصطلحات غامضة أو قاصرة عن التعبير العلمى الدقيق . ومهما يكن من أمر ، فجواز التعريب والنقل الحرفى ينبغى أن يكون مشروطا وموقوتا ، وعلى الدارسين من أهل الاختصاص واللغويين أن يتحملوا مسئولياتهم وببذلوا ما وسعهم الجهد فى سبيل سد النقص

والتخلص منه . وليس يكفى فى هذا المجال ترجمة المصطلحات أو تعريبها أو نقلها ، وإنما الأوفق أن ننصرف إلى ذوات أنفسنا ونعمل على تنشيط التفكير العلمى المبدع بصورة عربية فى المادة والمصطلحات معا .

وخلاصة رأى فى هذا الموضوع كله - موضوع تعريب العلوم ونقل المصطلحات الأجنبية - أن التعريب ينبغى أن يكون تعريبا فكريا ولغويا معا ، وهو بهذا المعنى مطلب قومى وعلمى واجتماعى . أما من الناحية القومية فالتعريب من شأنه أن يردنا إلى ذوات أنفسنا فننظر فى طاقاتنا وكفاياتنا ، ونعمل على استغلالها أو توظيفها فى بلورة هويتها وتأكيدها ، بحيث يصبح لها وزن ونوعٌ خصوصيةٌ تصونها من الضياع أو الذوبان أو التبعية وسط هذا الحشد الهائل من القوميات والأيدولوجيات المتصارعة على التفوق وانتزاع السيطرة على العالم . ولا يكون ذلك - بالطبع - إلا باكتمال العدد والأدوات التى تؤهلنا للوقوف على أرض صلبة ، تحمى شخصيتنا وتقينا من هزة التآرجح والتذبذب التى قد

تؤدى فى النهاية إلى محو شخصيتنا أو تفرقها بين القبائل ، وأولى هذه العدد والأدوات ومصدرها الحقيقى يتمثل فى الفكر الأصيل ومشاركته الفعالة بسلاح العلم الذى يضمن لنا موقعا ذا خصوصية عربية .

والتعريب من الوجهة العلمية هو بمثابة المرآة الكاشفة عن شخصيتنا ، وهو الدليل على أهليتنا لاكتساب موقع يحمى حقيقتنا ويمكنها من الانطلاق نحو عالم أوسع وأرحب من الفعالية والمشاركة الإيجابية . إن التعريب ييسر سبل التحصيل والاستيعاب والهضم للدارسين ، وينشط محصولهم اللغوى ، الذى - بدوره - يعمل على تنشيط الفكر وتعميقه ، بحيث يخرج لنا زاداً عربيا أصيلا نشارك به فى المسيرة العلمية فى العالم . وليس من اللائق علميا أن ندور فى فلك الآخرين بالاعتماد على لغاتهم والتفكير بها ، وهو فى رأينا تفكير لا جذور له ولا عمق فيه ، لأنه موظف فى الأساس فى التقليد أو مجرد النقل عنهم .

والانصراف عن تجربة التعريب الفكرى واللغوى ، بالاعتماد على المحصول المعرفى

المصدر إلينا أو المستورد من الخارج ، لابد أن
يجرنا - عاجلا أو آجلا - إلى تبعية ثقافية
 واجتماعية وهى تبعية أشد خطورة وأعمق
تأثيرا ، لاتساع دائرتها وتعدّد مناحيها ، إذ
سوف تجرّ إلى ساحتها جميع الطبقات والفئات ،
وتهدد بيئتهم الاجتماعية وتشوّه هويتهم
الثقافية .

تحقيق مطلب التعريب قوميا :

تحقيق التعريب وجعله حقيقة واقعة لا
يجدى فيه رفع الصوت أو إطلاق الشعارات
فى جانبه ، كما لا تُغنى فيه جهود أفراد أو
جماعات منهم فى محاولة شقّ الطريق إلى هذا
الهدف المنشود . إن إطلاق الشعارات ورفع
الصوت بالنداءات الداعية إلى ضرورته
وحتميته لا تلبث أن تفنى فى الهواء دون
إحداث أى أثر لها ، سوى رجوعها الذى يحشو
الأذان ويشغل الأدمغة بالضوضاء . وكذلك
تبقى جهود الأفراد أعمالا متناثرة هنا وهناك ،
محرومة من المنهجية والتكامل ، الأمر الذى
يفقدها قوة الفاعلية ويعرّضها للتضارب ،
وربما التناقض أحيانا .

تحقيق التعريب قوميا ، وبصورة علمية
جادة ، يحتاج إلى نظرة شاملة مبنية على
تخطيط مرسوم ذى حدود وضوابط تكفل له
التطبيق السليم ، حسب الأهداف والغايات
المنوطة به .

يقتضى الأمر فى نظرنا تأسيس هيئة علمية
تُلَقّى إليها مسئولية النظر والدرس والتخطيط
ووضع مناهج التنفيذ ومكانه وزمانه ،
وكيفياته . تشكل هذه الهيئة بحيث تنتظم
أعضاء من ذوى الاختصاص والخبرة والمعرفة
الواسعة بالعلوم واللغة ، وبحيث تكون مبرأة
من الألوان السياسية أو الانحياز إلى اتجاهات
أيديولوجية غير قومية أو إلى مرام شخصية
أو نفعية . هدفها الأول والأخير خدمة العلم فى
الإطار القومى العام .

ولقد أحسن " السودان " الشقيق صنعا
حين أقدم فى سبتمبر ١٩٩٠ م على تأسيس
ما سمّوه " الهيئة العليا للتعريب " ، متضمنا
هذا التأسيس القرارات واللوائح المنظمة
لأعمالها ومسئولياتها تجاه أهدافها وغاياتها
فى إطار المصلحة القومية . والملاحظ أن هذه

الهيئة السودانية قد قصرت مسؤولياتها على التخطيط ورسم السياسات العامة للتعريب ومتابعة إنجاز ما رُسمَ وخطط في الجهات المعنية وهي الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ، فهي متابعة ضابطة داعمة ، وليست متابعة تأمر أو تفرض أو تتدخل إلا في حدود المرسوم بلوائح الهيئة . إن وظيفتها التنسيق وتقديم الدعم الأدبي والمادى ، ضمانا لإنجاح العمل وحمايته من الفوضى والاضطراب والتدخل والتكرار ، وضمانا لاستمرارية العمل وتأکید مسيرته بدفع عجلته بمنحه الأدوات والوسائل اللازمة من مال ومراجع ومكتبات ، ومستلزمات النشر ... إلخ .

ومن شواهد هذا التنسيق والانضباط ما رآته الهيئة من قيام وحدات للتعريب بكل جامعة وكل كلية وكل قسم ، مع الربط بينها جميعا ، حتى تنساب المعلومات من القسم مرورا بالكلية والجامعة حتى مركز التنسيق الممثل في الهيئة ذاتها ، وبالعكس .

والملاحظ كذلك أن هذه الهيئة قد توسعت في مفهوم التعريب ، بحيث يشمل الترجمة

والنقل من الآثار الأجنبية . وهذا النهج مقبول في هذه المرحلة البادئة التي يُرجى لها أن تنتهى إلى تأصيل الفكر العربى ، بحيث يسهم في النشاط العلمى العالمى بالابتداع والمشاركة الفعالة التى قد تصقلها وتعمقها الترجمات الضرورية حسب الحالة والظرف المعين .

وفى رأينا أن موقعنا العلمى والأدبى يفرض علينا أن نكف عن الجدل وننطلق إلى خطوة عملية يجسدها إنشاء هيئة أو تعيين جهة معينة تتولى هذه المسئولية وتبدأ فى الإعداد والتخطيط لها ، على أن يكون التطبيق الفعلى بالتدرج زمانا ومكانا وتخصصا ، حتى تكتمل العدد والأدوات ونقف على أرض صلبة ، ويصبح الأمل واقعا ، والحلم حقيقة .

وهذه العدد والأدوات كثيرة متنوعة يدركها أهل الاختصاص ، ولكن لا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى أمرين هما بمثابة حجر الأساس فى هذا البناء القومى المأمول إقامته ، حتى نلجأ إليه ونلوذ به ، حماية لشخصيتنا ووقاية لها من التطفل والازدحام على موائد الآخرين .

أول هذين الأمرين يتمثل في محاولة تنشيط الفكر العربى ، بتخليصه من التبعية بالتدريج ، وذلك بإمداده بالوسائل والعناصر التى تحفزها إلى التدريب والتجريب فى ميدان الابتداع ، والاعتماد على الذات ، ولا يعنى ذلك بحال أننا ننادى بالانكفاء على أنفسنا والاكتفاء بما لدينا ، إذ المعارف إنما تنمو وتتأصل بتبادل الخبرات والثقافات والاحتكاك المباشر وغير المباشر المبني على منهج الأخذ والعطاء معاً .

والأمر الثانى الذى ينبغى أن نأخذه فى الحسبان منذ البدء فى عملية التعريب - تفكيراً وإنجازاً - هو ضرورة التوجه إلى لغتنا القومية ، فنوفيتها حقها ونمكّنها من أداء دورها فى هذا الميدان . ويكون ذلك - فى رأينا - بالعمل على محورين :

محور التعريب بتوظيفها فى العلوم بالتأليف المنشئ أو النقل بالترجمة .

ومحور النظر فى أدواتها التعبيرية وثروتها اللفظية والأسلوبية ، بهدف الوصول إلى مادة

طيّعة قادرة على تشكيل الأفكار العلمية وصّبّها فى قوالب دقيقة تتسم بالسهولة النسبية وتمثل روح العصر وحاجاته المتطورة المتجددة .

وهذا بالقطع يجرنا إلى قضية جوهرية ، وهى قضية اللغة العربية وتوظيفها فى الحياة العامة والخاصة . إن إخضاعها للتجريب فى ميدان العلوم يجرنا فوراً إلى النظر فى أدائها ومشكلاتها بشكل علمى دقيق . وفى صلاح اللغة العربية صلاحٌ للفكر العربى الذى يمثل قطب الرحى فى عملية التعريب .

وجدير بالذكر أن " الهيئة العليا للتعريب " بالسودان ، قد ضمنت نظام العمل عقد دورات متخصصة فى علم اللغة العربية وفقهها للعاملين فى مجال التعريب ، حتى يكون العمل عربياً متكاملاً فكراً ولغة . وهذا ما نحلم به ونرجو تحقيقه فى الوطن العربى بأجمعه .

كمال بشر

عضو المجمع

الترجمة بين الماضى والحاضر

وأهميتها فى نقل العلوم إلى اللغة العربية

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

بدا فى السنوات الأخيرة اهتمام كبير بقضية الترجمة ونشطت الدعوة لعودتها إلى سابق نهضتها وازدهارها وذلك لما لمس المشتغلون بالعلم والأدب والثقافة من أزمة حادة تحدى بهذا الرافد الحيوى من روافد المعرفة الإنسانية الذى طالما لعب دورا بارزا فى نشر نور العلم وإعلاء مناره بما يتيح من اتصال بمختلف الثقافات والتفاعل بينها . ويوصفه إطلالة حضارية منيرة على آفاق رحبة من الفكر العالمى الذى تتقاذف خطواته فى مدارج التقدم والرقى .

كما أن اللغة العربية تزدد غناءً وثراءً بالترجمة وتتسع آفاقها بالخصيلة الجديدة التى تضاف إلى مذكور تراثها وتصبح أقدر على تأدية رسالتها فى عصر العلم والتقدم العلمى والتكنولوجى بفضل عملية التلاحم التى تضطلع بها الترجمة .

وإذا كانت الترجمة إلى العربية قد بدأت فى واقع الأمر فى مطالع عصر بنى أمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية حين ترجم من اليونانية إلى العربية . وحين أجاز الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ترجمة الكتب الطبية لحاجة الناس إلى الطب إلا أن الترجمة لم تبلغ شأواً بعيداً من التقدم والازدهار إلا إبان حكم بنى العباس وبخاصة فى عهد الرشيد والمأمون حين تألفت فى سماء الأمة الإسلامية نهضة علمية عربية عارمة كانت الترجمة لحمتها وسداها بدأت فى منتصف القرن الثامن الميلادى واتسعت حركتها فى عصر الخليفة المأمون (٧٨٦ - ٨٣٣ م) فى القرن الثانى الهجرى والتاسع الميلادى حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم كؤوساً مترعة ويترجمون كتب الإغريق والهند والفرس

* ألقى البحث فى الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية واستمرت هذه الحركة في ازدهار ملحوظ حتى نهاية القرن الحادى عشر وعن طريقها انتقل إلى اللغة العربية تراث الأمم ذات الحضارات القديمة وتلت ذلك نهضة علمية خصبة واسعة تميز الإنتاج فيها بالجدة والأصالة وبإضافات جادة أضافها العلماء العرب إلى هذه التراجم من مبتكراتهم وكان هذا نتيجة تفاعل التراث الأجنبى الدخيل مع التراث العربى الأصيل -وقد ذهب بعض المستشرقين الغربيين مثل ويل ديورانت إلى أن الإسلام قد احتل مكان الصدارة والقيادة الفكرية والعلمية فى العالم طوال خمسة قرون من الزمان بدأت بمنتصف القرن الثامن وانتهت بمنتصف القرن الثالث عشر الميلادى .

وإذا كانت أمة العرب قد اتصلت بالأمم ذات الحضارات وترجمت تراثها إبان يقظتهم فى عصر الإسلام الذهبى أيام بنى العباس فإن أوروبا فعلت الشئ نفسه فى عصر النهضة التى بدأت منذ القرن الحادى عشر وبلغت ذروتها إبان القرنين الخامس عشر والسادس

عشر وذلك بعد أن أفاقت من سبات عميق امتد عدة قرون - وحين استيقظت أوروبا فى مطلع القرن الحادى عشر ارتدت إلى ماضيها وجدت فى إحياء تراثه وحين أدركت أنها لاتجيد لغة أجدادها من اليونان لجأت إلى تراث العرب المسلمين وما نقلوه عن أمة اليونان وما أضافوا إليه بدأوا فى نقله من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التى كانت لغة العلم فى أوروبا فى ذلك العصر وتم ذلك فى حركتين من أوسع حركات الترجمة فى تاريخ النهضة وبدأت الحركة الأولى فى صقلية وهى تحت الحكم العربى إبان النصف الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى واستمرت قرنا من الزمان وكان رائد هذه الحركة قسطنطين الإغريقى (١٠٨٧ م) أما الحركة الثانية فكانت فى أسبانيا وكانت أوسع نطاقا وأكثر شمولا - بدأت فى النصف الأول من القرن الثانى عشر وامتدت بضعة قرون وكان رائدها المنسنيور رايوند مارتينى رئيس أساقفة طليطلة - وفى مطلع القرن السابع عشر بدأ عصر بناء وتجديد وإبتكار استغرق مجالات الفكر فى اتجاهات عدة .

هذه لمحة خاطفة عن أهمية الترجمة فى إيقاظ أوروبا من سباتها الذى طال قرونا من الزمان - أما فى عالمنا العربى فقد اتسع نطاق حركة الترجمة ببداية اليقظة العلمية الإسلامية وبخاصة بعد إنشاء دار الحكمة التى تعهدها المأمون بالرعاية والنماء وكانت تضم العديد من المترجمين من اليونانية والفارسية وغيرهما - وكما يقول الدكتور الطويل فى مؤلفه القيم عن العرب والعلم فى عصر الإسلام الذهبى - كان المترجمون فى العادة يجيدون اللغة التى ينقلون عنها إجادتهم للغة التى ينقلون إليها وكان أغلبهم يلتزمون الدقة ويتوخون الأمانة فيما ينقلون ومن أبرز المترجمين فى ذلك العهد بل أبرزهم جميعا حنين بن إسحاق الذى كان يجيد ثلاث لغات غير العربية هى الفارسية واليونانية والسريانية - وكان بشهادة المؤرخين جيد الأسلوب واضح المعنى وكان يستعمل المصطلحات العلمية بالفاظها الأجنبية أى بتعريبها مع شرح لمعناها - وكثيرا ما نهض حنين بإصلاح أو إعادة ترجمات ابن البطريق عن اليونانية وكان لا يجيدها برغم تمكنه من

اللاتينية وقام بالعمل نفسه مع ترجمات اصطفان بن باسيل . وما يؤثر عن حنين أيضا - كما يقول أستاذنا الكبير الدكتور إبراهيم مذكور - أنه انطلق بأمر الخليفة المأمون إلى القسطنطينية باحثا عن الكتب والمراجع وبوجه خاص عن مؤلفات جالينوس ولا أظن أن جالينوس أحيى إلا على يديه وعلى أيدى من عاونوه من مترجمين وتلاميذ - وإذا كانت القرون الوسطى المسيحية قد عرفت شيئا فى القرن الثالث عشر للميلاد عن الطب اليونانى إنما عرفتته عن طريق الطب العربى - وإذا رجعنا إلى كتاب الفهرست لابن النديم لوجدنا طائفة قيمة من تلك الترجمات التى كانت دعامة الحركة الفكرية والعلمية فى القرن الثالث الهجرى أو العاشر الميلادى - وفى جو هذه الترجمة تخرج أكبر طبيب عربى هو أبو بكر الرازى - وجملة القول كان حنين بن إسحاق ومدرسته خير من يمثل الثقافة اليونانية ومن قدمها إلى قراء العربية .

وجدير بالذكر أن سخاء الخلفاء والموسرين من محبى العلم فى معاملة هؤلاء المترجمين بلغ

درجة عالية إلى حد أن حنين كان يتقاضى وزن ترجماته ذهباً - كان ذلك من منطلق تقدير عميق للترجمة ونقل تراث الأمم ذات الحضارات القديمة بعلمومها ومعارفها إلى لغة العرب - وبالإضافة إلى حنين شيخ المترجمين فى عصره كان هناك مترجمون آخرون أمثال يوحنا بن البطريق وثابت بن قره وقسطا بن لوقا البعلبكي وجورجيس بن جبريل ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم .

ومن بين ما نقل من علوم الفرس الفلك والطب والهندسة والجغرافيا وعن علوم الهند الرياضيات والفلك والطب وحساب المثلثات وعلم النجوم والخرائط . . وعن علوم اليونان الطب والفلك والرياضيات وعلوم الفيزياء وعلوم الحياة - وقد تفاعلت كل هذه العلوم مع التراث العربى فكان نتاجا اتسم بالأصالة والابتكار والعمق والشمول وحمل لواءه علماء أعلام أمثال الرازى (٨٦٥ - ٩٢٥ م) وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) ولهما صورتان تزدان بهما القاعة الكبرى لمدرسة الطب بباريس والبيرونى (٩٧٣ - ١٠٤٣ م) وابن الهيثم

(٩٦٥ - ١٠٣٨ م) الذى سبق فرانسيس باكون بقرون فى وضع المنهج العلمى للبحث وغيرهم - بذلك كان هذا العصر عصر الإسلام الذهبى الذى ازدهرت فيه العلوم والمعارف وتألفت فيه نهضة فكرية امتدت خمسة قرون من الزمان من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر الميلادى .

ومما يدعو إلى الأسى أن هذا العصر الذهبى من عصور الإسلام أعقبه تراجع حضارى بتأثير الغزوات والغارات الأجنبية على العالم العربى مما هبأ للاستعمار بعد ذلك أن يفرض سلطانه عليه سنين طويلة وبذلك تقلص دور العالم العربى فى رباته العلمية العالمية وفى أعماله الخالدة فى مجال الترجمة إلى العربية .

قضية الترجمة فى مصر :

وبالمثل شهدت مصر تراجعا حضاريا امتد لبضعة قرون إلى مطالع القرن التاسع عشر فى عصر محمد على حين بدأت حركة للترجمة لم تلبث حتى اتسع نطاقها وازدهرت وحمل لواءها رفاعة رافع الطهطاوى وهو الشيخ الأزهرى الذى أوفد إلى فرنسا عام ١٨٢٦ م - ١٢٤١ هـ

على رأس ثلاثة من الأئمة الوعاظ ليصبحوا
البعثة التي أوفدها محمد على ليتعلم طلابها
علوم الغرب رغبة منه في النهوض بمصر ولكن
طموح الشيخ يأبى إلا أن يُقبل في شغف
ملحوظ على تعلم اللغة الفرنسية وأن يتلمذ
على بعض أساتذة باريس مثل شفالبيه وأن
يجول بين علوم الغرب بقدر ما جال بين علوم
العربية وأن يجمع بين ثقافتين عريقتين كان
للجمع بينهما في فكره وعقله آثار بعيدة بعد
عودته إلى مصر . وفي أثناء إقامته في
باريس ترجم رفاعة اثني عشر كتاباً ورسالة في
أصول المعارف ومقدمة جغرافية طبيعية وعلم
سياسة الصحة وفي علم الهندسة وغيرها وكان
يلتقى بعدد من المستشرقين أبرزهم سلفستر دي
ساسى ، كوسان دي برسفال ورينو وغيرهم
وليعرض عليهم نشاطه وترجماته .

وعاد الطهطاوى إلى مصر عام ١٨٣١م
وهو يوج بأمال عريضة نحو آفاق رحبة من
التقدم لمصر مثل الذى شهدته واستوعبه في
الغرب ورأى أن السبيل للاستفادة من علوم

الغرب ومعارفه هو الترجمة ومضى يعمل على
إنشاء مدرسة الألسن عام ١٨٣٥م لإعداد طبقة
من المترجمين الذين يتقنون اللغتين العربية
واللغات الأوروبية ويعد أن تحقق أمله أخذ
رفاعة مع تلاميذه يترجمون الكتب في مختلف
فروع العلم والمعرفة حتى بلغ عدد ما ترجموه
نحو ألفين من الكتب والرسائل في الجغرافيا
والفلك والتاريخ والأدب والاجتماع والصحة
والهندسة والمعادن وفنون الحرب والصناعة
وغيرها - وفي عام ١٨٤١م تمت الاستعانة
بخريجى مدرسة الألسن في إنشاء قلم للترجمة
وضم أربعة أقسام الأول لترجمة الرياضيات
والثانى للعلوم الطبية والطبيعية والثالث
للعلوم الاجتماعية والرابع للترجمة التركية .

وكان منهج الطهطاوى في ترجمة
المصطلحات أو المفردات الأجنبية هو أن يحدد
في ذهنه معانى هذه المفردات ثم ينقب عن ما
يتلاءم معها من المفردات العربية وكان في
جهوده هذه يلجأ إلى المعجم العربى فيأخذ منه
ما يصح معناه ليكون ترجمة للمعنى الأجنبى

وفى بعض الأحيان يلجأ إلى اللغة الدارجة فى مصر فيستخدمها وفى أحيان أخرى يلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبى فيضعه بنصه مع بعض تعديل يتلاءم مع النطق العربى وكان من رأيه أن هذه المصطلحات المعربة يمكن أن تأخذ طريقها إلى اللغة العربية كغيرها من المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية وغيرهما .

ومسيرة لحركة الترجمة التى بدأت فى ذلك العصر قامت كلية الطب والصيدلة فى عهد رئيسها كلوت بك عام ١٨٣٣ بترجمة ٨٦ (ستة وثمانين) كتابا أجنبيا فى عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة باللغة العربية وبعد نجاح هذه الكتب فى مصر نجحاً يناسب عصرها وجدت طريقها كذلك إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش - كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من بعثاتهم بالخارج من فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا باللغة العربية وقدموا مع غيرهم ممن عاصروا مدرسة الطهطاوى رصيذا كبيرا من ترجماتهم ومؤلفاتهم بالعربية منهم على سبيل المثال

محمد على البقل الذى ألف وترجم فى الجراحة ومحمد الشافعى فى الأمراض الباطنة ومحمد ندى فى الحيوان والنبات والفيزياء والجيولوجيا وعلى رياض فى الصيدلة والسموم ومحمد الدرى فى الأمراض الوبائية ومحمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية ومحمود الفلكى الذى عاد من بعثته من فرنسا عام ١٨٥٩ وترجم وألف فى الفلك والرياضيات .

وفى عام ١٨٧٣ مضى الطهطاوى شيخ المترجمين فى عصره إلى جوار ربه بعد أن نبه الأذهان فى مصر إلى الترجمة وعظم شأنها فى الارتقاء بالأمة وفتح النوافذ على الثقافة والمعارف الأوروبية وعلوم من سبقونا فى مضمار الحضارة الحديثة وبعد أن خلف الكثيرين من تلاميذه وحواريه ليواصلوا الرسالة ولتستمر الترجمة رافدا للثقافة المصرية مواكبا لليقظة الفكرية والاجتماعية فظهرت فى ذلك الوقت مجلة المقتطف عام ١٨٨٥ وكانت قد أنشئت فى بيروت عام ١٨٧٦ قبل انتقالها إلى القاهرة ولم يكن تحريرها قائما فى أكثره إلا على الترجمة لاهتمامها بنقل علوم الغربيين

وصناعاتهم ووسائل تقدمهم العلمى إلى الوطن العربى وقد استمر المقتطف فى نشاطه هذا قرابة خمسين عاماً .

وفى عام ١٩١٤ أنشئت لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر والتي كانت تضم نخبة من أساطين العلم والفكر والثقافة وقد زودت هذه اللجنة على مدى ثلاثين عاماً ونيف المكتبة العربية بطائفة كبيرة من التراجم والمؤلفات . كذلك قامت الإدارات الثقافية بوزارة التربية والتعليم والتي توالى على رئاستها والإشراف عليها عدد من أقطاب الحركة الفكرية والثقافية أمثال الدكتور طه حسين والدكتور سليمان حزين والدكتور حسين مؤنس وغيرهم - قامت هذه الإدارات الثقافية بجهود فائقة فى ميدان الترجمة التي خصصت لها إدارة أصدرت عدة مئات من الكتب معظمها فى الأدب والفن وأقلها فى مجال العلوم ، ويتعاون مع الإدارة الثقافية بالجامعة العربية وبدءاً من عام ١٩٥٥ صدرت ترجمات عربية أذكر منها من الكتب العلمية كتاب تطور الزراعة فى الشرق الأوسط ترجمة

الأستاذ مصطفى نظيف وراجعته الأمير مصطفى الشهابى عدا قصة الحضارة تأليف ول ديورانت والتي ترجمت وصدر منها ٢٢ اثنان وعشرون جزءاً .

وقد توجت الإدارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم جهودها بإنشاء مشروع الألف كتاب بإشراف الدكتور حسين مؤنس فى ١٦ أغسطس من عام ١٩٥٥ لتشجيع الترجمة وإصدار كتب مبسطة مترجمة على غرار ما يصدر فى السلاسل الأوروبية الشهيرة (مثل سلسلة بنجوين وغيرها) وقد نجح المشروع نجاحاً كبيراً وأوشك عدد الكتب التي صدرت عنه على الألف كتاب ومن الأسف الشديد أن توقف هذا المشروع بعد الستينات مثل غيره من الجهود التي سبقته ولو أنه يبدو أن هيئة الكتاب قد بدأت حديثاً مجموعة الألف كتاب الثانية . مما تجدر الإشارة إليه أن واكبت هذه الجهود إن لم تكن سبقتها جهود أخرى لتشجيع ترجمة الكتب العلمية بالذات ورحم الله أستاذاً المجمعى الدكتور أحمد زكى عالم الكيمياء واللغوى الأديب حين بدأ دعوته فى الثلاثينيات

بضرورة البدء فى ترجمة أمهات الكتب العلمية إلى اللغة العربية كخطوة نحو تعريب التعليم الجامعى - ومن تابع كتاباته فى مجلة العربى لرأى كيف كانت اللغة العربية بثرائها وعطائها طوع قلمه وبراعه يطرق بها مختلف الموضوعات العلمية ويصف بها المستحدث من علوم العصر فى مكنة واقتدار وهكذا فعل زميله العلامة الدكتور على مشرفه منذ ولى عمادة كلية العلوم بجامعة القاهرة كان يقول إننا فى أشد الحاجة إلى استعادة عصر المأمون ومضى يختار الكتب المقررة وهى التى يقولون عنها فى الأزهر « كتب المتون » ويوزعها على أساتذة الكلية ويواصل هو بجهد فائق مراجعة ما يترجمون فى الفيزياء والفلك والرياضيات وقد صدرت هذه الكتب وأخذت طريقها فى حينها إلى المكتبة العلمية العربية - وقد هبط الحماس لهذه الحركة بعد وفاته فى مطلع الخمسينات .

وهناك جهد مماثل قام به المجلس الأعلى للعلوم عند إنشائه عام ١٩٥٦ حين وضع برنامجا لترجمة أهم الكتب المرجعية فى العلوم الأساسية كإسهام فى تعريب التعليم الجامعى

وقدم بالفعل أكثر من ثلاثين كتابا تعد من المراجع العلمية الرئيسية فى علوم الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والحشرات والرياضيات وغيرها وزود الكثير منها بكشافات تضم المصطلحات العلمية الأجنبية ومقابلاتها باللغة العربية . ومن المحزن حقا أنه لم يمض على هذا العمل والإنجاز بضع سنوات حين ألغى المجلس الأعلى للعلوم عام ١٩٦١ حتى أهملت هذه الكتب وطواها النسيان إذ أن عدم التدريس بالعربية قد وأد الكثير منها وأجهض الجهود المضنية التى بذلت فى سبيل إنجازها .

وتجربة أخرى شبيهة قامت بها مؤسسة فرانكلين فى مصر بدأتها فى الستينات حين أخرجت إلى المكتبة العلمية العربية عدة مئات من الكتب المترجمة وبالمثل طواها النسيان بعد أن توقف نشاط هذه المؤسسة ورحلت عن مصر .

ومما يشيع فى النفس بعض الأمل وسط هذا الأسى على ما فات ما يقوم به مركز الأهرام للترجمة العلمية فى الوقت الحاضر ومنذ سنوات من نشاط فى هذا المجال إذ يقوم على ترجمة كتب فى الرياضيات والكيمياء

والتكنولوجيا والطب وعلوم الأحياء والحاسب
الآلى وغيرها وقد أنجز منها أعدادا كبيرة .
كما تجدر الإشارة إلى الجهود التى تقوم بها
كلية الألسن وغيرها من المعاهد التى تدرس
مادة الترجمة بأقسامها ولكن نريدها قادرة
تماما على تدريب وتخريج المترجم الكفاء الذى
أعد إعداداً كافياً للاضطلاع بمهمة الترجمة
على أعلى مستوى وبخاصة الترجمة العلمية
التي نحن فى أشد الحاجة إليها فى هذا العصر
عصر العلم - ولكنه مما يثلج الصدر الدعوة
التي يتبناها المجلس القومى للثقافة والإعلام
بشأن ضرورة إنشاء معهد لتخريج المترجمين
وإحياء دور الحكمة لترجمة الثقافات العالمية -
وكذلك توصية مجمع اللغة العربية فى مؤقره
الماضى (١٩٩٣) فى دورته التاسعة والخمسين
بضرورة إنشاء هيئة علمية لتعريب العلوم وإصدار
معاجم جديدة فى فروع العلم الحديثة والمستحدثة .
وفى مجال ترجمة المصطلحات ونقلها إلى
اللغة العربية لست فى حاجة إلى تأكيد الدور
الرائد الذى يقوم به مجمعنا فى هذا المجال
شأنه فى ذلك شأن أشقائه فى الوطن العربى

وقد أنجز مجمعنا حتى الآن ما يربو على مائة
ألف مصطلح غالبيتها العظمى مصطلحات
مترجمة وأقل القليل معرب وأكثر من نصفها
أى ٥٥ ألف مصطلح من المصطلحات العلمية
تضمنتها عشرة معاجم علمية متخصصة وهناك
غيرها تحت الإعداد - وغنى عن البيان أن هذه
الثروة من المصطلحات العلمية مع غيرها من
مصطلحات تزخر بها معاجم أخرى كمعاجم
شرف والمعلوف وأحمد عيسى ومصطفى الشهابى
والمورد للبلعكى وغيرها ستبقى جميعا معينا زائرا
يغذى حركة تعريب العلم والتعليم التى يتصدى لها
مؤقر المجمع فى هذه الدورة المباركة .

سادتى العلماء الأجلاء

على الرغم من بارقات الأمل التى أشرت
إليها فإن الراصدين لحركة الترجمة بمعناها
الواسع يرون تراجعاً ملحوظاً فى تيارها
ونشاطها منذ الستينات من هذا القرن لا فى
مصر وحدها بل لا أجاوز الحقيقة إذا قلت إنه
كذلك فى الوطن العربى .

وقد حفلت الصحف فى السنوات الأخيرة
بالدعوة إلى الاهتمام بقضية الترجمة وإحياء

حركتها وقد تصدرت لها أقلام عدد من الكتاب وكتبوا مقالات عدة حولها باعتبارها إحدى الدعامات لنهضة علمية شاملة فى عالم يتقدم بخطى سريعة فى مختلف المجالات العلمية والتكنولوجية ونريد اللحاق به . ولأهمية الترجمة يحتفل بيوم المترجم فى الثلاثين من سبتمبر كل عام كما أنشئ الاتحاد دولى للمترجمين بدأ أعماله عام ١٩٥٣ ويعقد مؤتمرا كل ثلاث سنوات ليناقدش دراسات وبحوثا تتناول موضوع الترجمة والمترجمين وقد عقد هذا الاتحاد مؤتمره الأخير (الثالث عشر) فى مدينة برايتون بالجلتري فى المدة من ٦ إلى ١٣ أغسطس ١٩٩٣ وشارك فى أعماله مترجمون من مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين وليبيا والجزائر وتونس والمغرب بالإضافة إلى مترجمين عرب مقيمين فى النمسا وهولندا والجلتري وأستراليا .

ومن منطلق اهتمام كثير من الدول بموضوع الترجمة أقامت اليابان جهازا ضخما للترجمة من شتى اللغات الحية لمسيرة التيارات الفكرية العالمية وبهذا هيات لأهلها روافد

خصبة من المعرفة الإنسانية وأحرزت تقدما أذهل العالم فى مختلف المجالات - كما أن دولة صغيره مثل المجر (١٠ مليون نسمة) أنشأت هيئة قومية عليا للترجمة منذ ١٩٤٦ ودارا خاصة للنشر تعنى بترجمة ونشر عيون التراث الإنسانى الفكرى والأدبى والعلمى .

وفى إحصائية لمنظمة اليونسكو عن تراجع الترجمة فى الوطن العربى ذكر أن نصيب هذا الوطن من إنتاج الكتب المترجمة فى عام ١٩٧٠ كان ١١ فى الألف بالنسبة لما أنتج فى سائر أنحاء العالم وكان نصيب الدول الأفريقية ٧ فى الألف ودول نامية أخرى ٦ فى الألف أما فى عام ١٩٨٦ أى بعد ستة عشر عاما تراجع ما ترجم فى الوطن العربى إلى ٦ فى الألف لتحتل بذلك المركز الأخير بينما تقدمت الدول الأفريقية إلى ١٢ فى الألف والدول النامية الأخرى إلى ١٣ فى الألف وليس التراجع فى الكم فقط بل فى الكيف أيضا وقد تقلص الإنتاج المترجم فى مجال العلوم الأساسية إلى درجة لافتة للأنظار . وفى دراسة إحصائية أخرى مماثلة عن ما تصدره بعض الدول من كتب مترجمة ومؤلفة كل عام ذكر أن

اليابان (نحو ١١٥ مليون نسمة) لا تزال تحتل المركز الأول في العالم للسنة الثالثة عشرة على التوالي بإصدارها نحو ٣٢ ألف كتاب أو عنوان جديد سنويا وتحتل روسيا (١٢٠ مليون نسمة) المرتبة الثانية بإصدار ٢٨ ألف كتاب في العام تليها الصين (١,٢ مليار نسمة) ٢٧ ألف كتاب ثم ألمانيا ثم الولايات المتحدة وتصدر تايبان ١٤ ألف كتاب سنويا منها ١١ ألف عنوان مترجم وتصدر هولندا ستة آلاف عنوان منها أربعة آلاف عنوان مترجم .

أما الدول العربية (٢٢ دولة - ١٥٠-١٧٠ مليون نسمة) فيصل مجموع ما تصدره تسعة آلاف كتاب جديد سنويا في الوقت الذي يبلغ ما تصدره إسرائيل (٣,٥ مليون نسمة) عشرة آلاف كتاب بالعبرية سنويا معظمها مترجم عن لغات أخرى .

ومع ذلك فليس ببسعيد أن يدور الزمن دورته وتعود للعالم العربي القيادة والريادة الفكرية كما كان وأن يحتل المكان اللائق به تحت الشمس .

مقترحات وتوصيات :

مستعينا بما صدر عن المجالس القومية المتخصصة من توجيهات وتوصيات في موضوع الترجمة

ومستعينا بما قرأت في مختلف المصادر وبما تأملت واستوعبت أقول :

أولا- إن موقع مصر الجغرافي والحضارى بين قارات ثلاث وبحرين عظيمين يجعل اتصالها بالعالم الخارجى أمراً طبيعياً يؤكد ذاتيتها الثقافية من جهة ويحقق طموحها لمواكبة الإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى حركة العلم والبحث العلمى وملاحقة التطورات الحديثة فى مجال العلم والتكنولوجيا - ومن هنا يصبح للترجمة أهمية خاصة تقتضى التفكير فى وضع سياسة عامة تتجاوز الجهود الفردية إلى تنظيم جماعى يخلق تياراً مستمراً للترجمة ونقل مختلف العلوم والمعارف إلى اللغة العربية ولتحقيق ذلك يمكن التوصية بما يلى :

أولاً - أن توجه الدولة عناية خاصة لإنشاء مجلس أو هيئة عامة للترجمة فى مصر تضم صفوة من العلماء والمفكرين تقوم بوضع خطة قومية للترجمة تستهدف :

١ - حصر ما ترجم إلى اللغة العربية من مختلف العلوم وتصنيفه وتقويمه ويمكن

الاستعانة فى ذلك بالوسائل الألكترونية الحديثة (الحاسب الآلى أو الحاسوب) تمهيدا لإنشاء بنك للمعلومات الخاصة بالترجمة من حيث تخزينها والتعامل معها واسترجاعها .

٢ - تحديد المجالات والأولويات لما يمكن ترجمته من الإنتاج العلمى والفكرى إلى العربية .

٣ - توفير الأدوات الأساسية للترجمة من معاجم ومصطلحات وبما قامت به الجامعات اللغوية فى هذا المجال .

٤ - العمل على الاعتراف بمهنة الترجمة بين المهن العلمية المتخصصة التى يؤهل أصحابها تأهيلا علميا يضمن إيجاد حركة موسعة وتياراً مستمراً لها كما يعمل المترجمون على تكوين اتحاد لهم يرتبط بالاتحاد الدولى للمترجمين وكذلك العمل على الحصول على حق الترجمة وفقاً للاتفاقية الدولية لليونسكو لحقوق التأليف .

ثانياً - العمل على تنسيق جهود الترجمة مع البلاد العربية والدعوة إلى إنشاء مركز عربى

لنقل علوم وثقافات العالم إلى اللغة العربية .
ثالثاً - العمل على إنشاء معهد قومى لتدريب وتخريج المترجمين الأكفاء القادرين على الاضطلاع بمهنة الترجمة على أعلى مستوى وبخاصة فى الترجمة العلمية مع دعم أقسام الترجمة فى الكليات والمعاهد الخاصة بذلك .

سيدى الرئيس - سادتى العلماء :
هذه لمحة سريعة أو عرض متواضع لقضية الترجمة فى ماضيها وحاضرها وأهميتها فى نقل العلوم إلى اللغة العربية فى مصر مع رؤية مستقبلية لما يمكن أن نفعله للنهوض بها ولتعود إلى سابق مجدها وعظمتها أيام المأمون يوم تسنمنا القمة وعلمنا الآخرين ،

والله ولى التوفيق

محمود حافظ

عضو المجمع

المراجع

- ١ - المجامع العربية والمصطلح العلمى
مؤتمر تعريب التعليم الجامعى والعالى
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية بالقاهرة ١٩٨٠
للدكتور إبراهيم بيومى مذكور
- ٢ - الترجمة والنقل إلى العربية
مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ١٢ ص ٣ (١٩٥٥ تاريخ
إلقاء البحث)
للدكتور منصور فهمى
- ٣ - الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى (١٨٠ - ١٨٧٣)
كتاب عن ندوة نظمتها كلية الألسن جامعة عين شمس
١٩٧٦ به ١٨ موضوعا منها : رفاعه والألسن
رفاعة والترجمة
للدكتور عبد السميع محمد أحمد
للأستاذ أحمد خاكى
- ٤ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه
دار المعارف ١٩٦٧
للدكتور عبد الحليم منتصر
- ٥ - قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر مجلة
مجمع اللغة العربية الجزء ٥٦ ص ١٦١ ١٩٨٥
للدكتور محمود حافظ
- ٦ - نقل العلوم إلى العربية
مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٧ ص ٢٤٢ (ألقى البحث
فى ١٦/٤/١٩٤٨)
للأستاذ مصطفى نظيف
- ٧ - نشر الكتب العلمية باللغة العربية
كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية العدد ٣١
لسنة ١٩٦١
للدكتور كامل منصور

للدكتور محمود حافظ

٨ - معاجمنا العلمية المتخصصة

مجلة مجمع اللغة العربية تحت الطبع (ألقى البحث

فى ١٢/٤/١٩٩٣)

للدكتور توفيق الطويل ،

٩ - نحو خطة مستقبلية للترجمة فى مصر وموضوعات

والدكتور إبراهيم زكى خورشيد

أخرى عن الترجمة مطبوعات المجالس القومية

وآخرين

المتخصصة (شعبة الثقافة ١٩٨٤) .

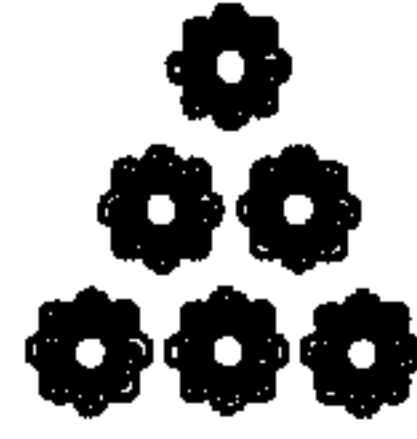
للأستاذ سامى خشبة

١٠ - مقالات عن قضيه الترجمة فى مصر

وأساتذة آخرين

صحيفة الأهرام مارس ١٩٩٠ ، أكتوبر ١٩٩٣

يناير ١٩٩٤



الجملة فى كتاب سيبويه *

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

إن كتاب سيبويه هو ، كما هو معروف ، أقدم كتاب فى النحو وصل إلينا ، من حسن الحظ . والغريب أو ما يبدو أنه غريب أن هذا الكتاب على الرغم من قدمه فإنه يحتوى على جميع ما عرف بعد سيبويه من أبواب النحو والصرف وجميع ما اشتهر بعده من مسائله فهو عمل ناضج تمام النضج وبما أنه لم يسبقه - على أصح الأقوال - أى كتاب يماثله فى غزارة المادة والدقة العلمية المتناهية فكأنه خرج من العدم فى ظاهر أمره وليس الأمر كذلك^(١) . إلا أن هذا لا يعنى أن النظرية العلمية للغة التى يعتمد عليها هى التى نعرفها اليوم من خلال ما قاله المتأخرون من النحاة مثل ابن مالك فى ألفيته وكتابه التسهيل وشرح هذين العاملين أو مثل أبى البركات بن الأنبارى قبله أو ابن هشام صاحب أوضح المسالك وغيرهم . فقد مضت أكثر من ٤٠ سنة على جهود بذلناها لمعرفة هذه النظرية القديمة فاتضح لنا الفرق الكبير الذى يميز المنظور العلمى الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور من النزعة التعليمية للنحو التى استولت على كل الممارسين للنحو بعد القرنين الخامس والسادس ، ولهذا السبب فإننا سنحاول أن نشرح للقارئ الكريم جانباً واحداً من هذه النظرية العلمية الدقيقة مقتصرين فى ذلك على مفهوم الجملة وما

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

(١) فقد ذكر سيبويه نفسه أقوال وأفكار عدد كبير ممن سبقه من النحاة وخاصة الخليل بن أحمد (ذكره أكثر من ٦٠٠ مرة) . وقد أدى هذا النضج الغريب إلى افتراض من لاينوى الخير للثقافة العربية من المستشرقين اقتباس النحاة العرب الأولين لأهم مفاهيمهم من المنطق اليوناني وقد رددنا على ذلك فى ١٩٦٤ بمقالة عنوانها : النحو العربى ومنطق أرسطو (انظر المراجع) .

يقتضيه التصور العربي الأصل للجملة من المفاهيم العلمية الأساسية من حيث منهج التحليل اللغوي ونظرية المعرفة العلمية عامة .

١ - عدم وجود مصطلح جملة في الكتاب:

فهذا أمر غريب آخر ألا يوجد أى أثر لكلمة " جملة " في كتاب سيبويه وكذلك العبارة : " جملة مفيدة " لا أثر لها في هذا الكتاب . ولا نعثر على كلمة " جملة " بعد سيبويه إلا في كتاب المقتضب للمبرد^(١) ونرجح أن شيخه المازني استعملها هو أيضا وقد يكون الأخفش (سعيد بن مسعدة) تلميذ سيبويه وأستاذ المازني هو الذي وضع المصطلح فإنه هو أول نحوي يستعمل كلمة " فائدة " بمعنى العلم المستفاد من الكلام وهذا المفهوم يعبر عنه سيبويه بكلمة " علم " فقط وما يشتق منها^(٢) . إلا أن هذا لا يعنى طبعاً أن مفهوم الجملة لا يوجد عند سيبويه فهو يسميها عادة " كلاما " وإذا دقق قال : " الكلام المستغنى "^(٣) وهو

يحدد هذا الكلام المستغنى هكذا " ما يستغنى عنه السكوت " يقول : " ما يستغنى عنه السكوت وما لا يستغنى ألا ترى أن " كان " تعمل عمل " ضرب " ولو قلت " كان عبد الله " لم يكن كلاما ولو قلت : " ضرب عبد الله " كان كلاما (٢٦٢ / ١) . ويقول في موضع آخر: ألا ترى أنه لم تنفذ الفعل في " كنت " إلى المفعول الذي به يستغنى الكلام ... فإنما هذا في موضع إخبار وبها يستغنى الكلام (٧٤ / ١) . ويقول : يقبح أن تقول " أشك منطلق بلغنى أو عرفت " لأن الكلام بعد أن وإن غير مستغن كما أن المبتدأ غير مستغن (٤٦٣ / ١) .

ويقول أيضا : " ألا ترى لو قلت : " فيها عبد الله " حسن السكوت وكان كلاما مستقيما كما حسن واستغنى في قولك : " هذا عبد الله " (٢٦١ / ١) . يريد سيبويه من " الكلام المستغنى " الذي يحسن أن يسكت

(١) المقتضب ، ٨٩ / ٣

(٢) انظر كتاب القوافي (ص ٦٦) للأخفش والكتاب ٢٢ / ١ و ٢٦ - ٢٧

(٣) الكتاب ، ٤٦٣ / ١ ، أنظر أيضا فيما يلي .

المتكلم عند انتهائه لأنه قد استقلّ لفظاً ومعنى وبذلك يشكل وحدة تبليغية تتم بها الفائدة للمخاطب أى يستفيد بها علماً معيناً .
والسكوت هنا أو حسنه هو المقياس الذى تعرف به الجملة المفيدة . هذا وقد لا حظنا أن لفظة " الكلام " كافية للدلالة على مفهوم الجملة المفيدة عند سيبويه وستبقى هذه اللفظة دالة على هذا المعنى حتى عند بعض المتأخرين .
وذلك مثل ما ابتدأ به ابن أجروم مقدمته :
" الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع " .
وقال ابن جنى قبله بقرون « الكلام » كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه : نحو زيد أخوك وقام محمد ... وصّة ومّة ... وأفٍ " (الخصائص ١٧/١) (١١) .

الإعلامية وبين الدلالة على معنى وهو شئ آخر غير الإفادة (وابن جنى نفسه يقول : " مفيد لمعناه " على ما اشتهر فى زمانه) .
وعلى هذا الأساس فأقل ما ينحل إليه الخطاب من الوحدات ذوات معنى وفائدة معا هى هذا الكلام المستغنى وعلامته صحة أو حسن الوقف عليه من قبل المتكلم وهذا ما لاسبيل إلى تحقيقه فى الوحدات التى هى دون الجملة مثل " كان عبد الله " وسنرى أن هذا يقال فقط بالنسبة إلى الكلام التام غير المحذوف منه .

٢ - التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية :

إن سيبويه والخليل بن أحمد قد انفردا مع أكثر النحويين الأقدمين بنظرية اندثرت بعدهم وصارت بعد غزو المنطق اليونانى خاصة ، لايتفطن إليها إلا الأفذاذ من النحاة مثل السهيلي والرضى الاسترأبادى . ومن أهم

ونلاحظ أيضاً أن وظيفة الوحدة هى إعلام المخاطب بشئ يكون - بحسب ظن المتكلم - قد جهله . وسيبويه يلح على ذلك خلافاً لكل من جاء بعده حيث خلطوا بين هذه الوظيفة

(١) لا شك أن الذين وضعوا المصطلح " جملة مفيدة " أرادوا أن يخصصوا هذا المفهوم بلفظ لا يدل على شئ آخر غيره إذ لفظة " كلام " قد تدل على استعمال الأفراد للغة معينة ويقابله بالفرنسية Parole و Langage

المبادئ التى بنيت عليها هذه النظرية نذكر
تمييزهم الصارم فى تحليلهم للغة بين الجانب
الوظيفى من جهة وهو الإعلام والمخاطبة أى
تبليغ الأغراض المتبادل بين ناطق وسماع وبين
الجانب اللفظى الصورى أى ما يخص اللفظ فى
ذاته وهيكله وصيغته بقطع النظر عما يؤديه
من وظيفة فى الخطاب غير الدلالة اللفظية من
جهة أخرى (إذ هناك دلالة اللفظ ودلالة المعنى .
(أنظر فى ذلك الخصائص ودلائل الإعجاز)
وقلّ من انتبه بعد ابن جنى إلى الضرر العظيم
الذى يسببه التخليط بين هذين الجانبين من
التحليل . فكل جانب منهما يمتاز عن الآخر
بمنهجية خاصة به ومبادئ وقوانين لا تمت بسبب
إلى الجانب الآخر .

فأكبر دليل على سلامة هذا التصوّر وفساد
التخليط بين الجانبين هو عجز النحويين
المتفلسفين عن تحديد مفهوم الاسم فى مقابل
الفعل والحرف . فهناك أكثر من ١٠ تحديدات
للإسم قال عنها ابن فارس : هذه مقالات القوم
فى حدّ الاسم يعارضها ما قد ذكرته وما أعلم
شيئا مما ذكرته سلم من معارضة (الصحابى ،

٥١) . والسبب فى ذلك هو هذا الخلط الذى
ذكرناه . فالإسم - وكذلك الفعل - يمكن أن
يسلم تحديده من المعارضة إذا عيّن المحدد
الجانب الذى يتم فيه تحديده ثم عيّن بعد ذلك
النوع من الأسماء : فالإسم من حيث معناه أى
من حيث دلالاته على معنى هو لفظ يدل على
شئ لا يكون حدثا مع زمان فى مقابل الفعل
الذى يدل عليه ثم هناك الإسم المطلق والإسم
المضارع للحرف والفعل ، فالإسم المطلق يدل
على ذات أى على كل شئ يصحّ الإخبار عنه .
أما الإسم الشبيه بالحرف أو الفعل فهو يدل
على معنى من معانى النحو كالظرفية وذلك
مثل " إذا " و " حيث " أو الاستفهام مثل :
" مَنْ " و " أى " أو كلاهما مثل " أين " و " متى " إلخ
فهذه أسماء لأنها لا تدل على حدث إلا أنها
بمنزلة حروف المعانى من حيث الوظيفة الدلالية
والإفادية . أما من الجانب اللفظى الصورى
فالإسم كلمة (أى عنصر) يصلح أن تدخل
عليها حروف الجر والتنوين والإعراب ويمكن
أن تضاف وأن توصف وفى ذلك درجات يعتمد
فيها على تمكّن الإسم وعدم تمكّنه (من احتمال

يمينا وشمالا ، لهذه الزوائد) . هذا فى مستوى الأفراد أما فى مستوى التركيب فالاسم هو ما يعمل فيه العوامل ويكون مبتدأ ومبنيًا عليه أو فاعلا أى يكون فى موضع لا يدخله الفعل ولا الحرف . ومن هذا الاعتبار يختلف الاسم الشبيه بالحرف عن الحرف لأنه لا يأتى أبداً فى موضعه فمن حيث اللفظ وصورته " إذا " و " من " و " أى " ليست حروفاً أبداً وإن كانت فى الجانب الوظيفى الدلالى أشباه الحروف (وسنرى فيما يلى ما يترتب من ضرر على هذا التخليط فى مستوى التراكيب) .

٣ - الكلام كخطاب أى كحدث إعلامى (يحصل فى وقت معين ومكان معين) :

إن الكلام المستغنى أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف . ويمكن أن يحلّل كما فعله سيبويه إلى مكونات قريبة على حدّ تعبير علماء اللسانيات تكون خطابية لا لفظية صورية أى

عناصر لكل واحد منها وظيفة دلالية وإفادية . وهذه العناصر هى فى الحقيقة عنصران : المسند والمسند إليه : "قال سيبويه : هما من لا يستغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا" (٦/١) . ويقول السيرافى فى شرحه : " فيه أربعة أوجه أجودها وأرضاها أن يكون المسند معناه : الحديث والخبر والمسند إليه : المحدث عنه وذلك على وجهين : فعل وفاعل كقولك : قام زيد وينطلق عمرو واسم وخبر كقولك : زيد قائم وإن عمرا منطلق فالفعل حديث عن الفاعل والخبر حديث عن الاسم والمسند هو الفعل وخبر الاسم والمسند إليه هو الفاعل والاسم المخبر عنه (شرح الكتاب ٧٤/١ ظهر)^(١) .

وعلى هذا الأساس فإن المسند إليه (المسند عند سيبويه) بما أنه المحدث عنه لا يكون إلا اسما من الناحية الخطابية أو ما فى حكمه (مثل " أن تصوموا " = صيامكم) . ويمكن أن يكون المسند (المسند إليه عند سيبويه) اسما أو

(١) هذا صحيح على استعمال النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه ولكن سيبويه يستعمل لفظة المسند بمعنى المسند إليه والعكس .

فعلاً أو ما فى حكمهما (الظروف والجار والمجرور وغير ذلك) وليس فى دنيا كلام فى أى لغة إلا وفيه محدث عنه ومحدث به فى أى شكل كان .

وهذا كله يخص الجانب الخطابى أى التبليغى الدلالى وهذا لا يمنع من أن يكون التحليل قابلاً للصياغة فإن الصياغة شئ والفرق بين اللفظ والمعنى شئ آخر إذ كلاهما قابلان للصياغة ومثال ذلك صياغة الجملة المفيدة كخطاب إلى مكونات قريبة هى المسند والمسند إليه .

إن سيبويه لا يكتفى بتعريف هذه الأشياء إذ سيعتمد عليها لتفسير الكثير من الظواهر اللغوية وخاصة الظواهر المتعلقة بالتبليغ فإن لها قوانين خاصة يعتمد فى تفسيرها على هذا التحليل للخطاب كخطاب .

يقول سيبويه : إذا قلت : " كان زيد " فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر فإذا قلت : " حلما " فقد أعلمته مثل ما علمت فإذا قلت : " كان حلما " فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة .. وإذا قلت : " كان حلما " أو رجل فقد بدأت بنكرة ولا

(١) مثل الرمانى فى شرحه الكتاب .

يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور " (٢٢ / ١) ويقول : " وذلك قولك : ما كان أحد مثلك .. وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفى أن يكون فى مثل حاله شئ أو فوقه ، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا . وإذا قلت : " كان رجل ذاهبا " فليس فى هذا شئ تعلمه كان جهله ولو قلت : " كان رجل من آل فلان فارسا " حسن لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذاك فى آل فلان وقد يجهله ولو قلت : " كان رجل فى قوم عاقلا " لم يحسن لأنه لا يستنكر أن يكون فى الدنيا عاقل وأن يكون من قوم .. " (٢٦ / ١ - ٢٧) .

فمثل هذه الملاحظات كثيرة جدا فى الكتاب وهى تخص أحوال الخطاب مقترنا بأحوال المخاطب : علم المخاطب وجهله واستحالة الإخبار عن منكور اللهم إلا إذا احتاج المخاطب إلى تحديد هذا المنكور بأن يعين حلية خاصة به تميزه عن غيره . ويمكن بالدراسة المتعمقة لهذه الملاحظات أن تستخرج قوانين التخاطب الحقيقية وهذا قد فعله العلماء الأولون^(١) هذا

ولابد أن ننبه القارئ الكريم أن مثل هذا الكلام عن " علم المخاطب " وسائر أحواله لا يمكن أن نعثر عليه في كتب المتأخرين . فالقواعد الجامدة - الخاطئة أحيانا - قد حلت محل الملاحظات العلمية (تكلموا مثلا عن شروط الابتداء بالنكرة فقط وبدون أن يفسروا ظواهر الخطاب بالكيفية العلمية الوصفية والتعليلية معا) .

٤ - الكلام كلفظ دال له بنية (اللفظ الدال في حد ذاته) :

إن الكلام المستغنى له عند سيبويه والنحاة الأولين صيغة لفظية خاصة وليست هي الصيغة الخطابية المتكونة من مسند ومسند إليه وإلا فلم احتاج أولئك العلماء إلى تسمية أخرى مثل المبتدأ والمبنى عليه ولماذا احتاجوا إلى تصوّر عنصر لفظي هام هو العامل وما يتعلق به من معمول ؟ نعم قد قال سيبويه : " المبتدأ مسند والمبنى عليه مسند إليه " (٢٥٦/١) كأن المبتدأ والمبنى عليه متطابقان وكأن التسميتين مرادفتان للمسند والمسند إليه . وليس الأمر كذلك لأنه لافائدة على هذا كما

قلنا في تسميتهما بالمبتدأ والمبنى عليه . فإن مقصود سيبويه هو أن يبين أن المبتدأ مهما كان محتواه الدلالي الخطابى فإنه لا يستغنى من هذا الجانب الخطابى عن المبنى عليه وهما من حيث الخطاب بمنزلة الفعل والفاعل . يقول " فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر في الابتداء " (٦/١) وأيضا : " فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليسبى عليه كلام " (٢٧٨/١) . فهناك تطابق فى مستوى الخطاب ولهذا قسم النحاة فيما بعد الجملة إلى اسمية وفعلية وقال المبرد بهذا الصدد : " إنما كان الفاعل رفعا لأنه هو الفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب . فالفاعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت : قام زيد فهو بمنزلة قولك : القائم زيد " (المقتضب ، ٨/١) . هذا من حيث الإفادة لا من حيث البناء لأن صيغة اللفظ الذى يحمل المعنى والفائدة لاتطابق بالضرورة صيغة الخطاب من مسند ومسند إليه كما سنراه . ويبين ذلك النحاة العرب باللجوء إلى منهج علمى هو ما يسمونه بحمل الشئ على الشئ أو إجرائه عليه

بغية اكتشاف الجامع الذى يجمعهما وهو ههنا
البنية التى تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل .
وينطلقون فى ذلك من أبسطها وهى التى
تتكون من عنصرين : زيد منطلق فيحملون
عليها جملا أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة
إلى الجملة البسيطة بحيث تظهر بذلك كيفية
تحول هذه النواة بالزوائد وهى فى الحقيقة
مقارنة بنوية أساسها ما يسمى فى الرياضيات
الحديثة^(١) بالتطبيق وهو هنا تطبيق مجموعة
على مجموعات أخرى طردا وعكسا ويمكن أن
نمثل ذلك هكذا :

١	Ø	زيد	منطلق
٢	إن	زيدا	منطلق
٣	كان	زيد	منطلقا

فالمكان الذى تظهر فيه الزوائد يقابله فى
الجملة البسيطة مكان فارغ فهذا الفراغ يسمونه
بالابتداء ويحددونه بأنه التجرد من العوامل

اللفظية وهذه العوامل هى ههنا " إن " و " كان "
ويعنون بالعمل اللفظ الذى يؤثر فى غيره لفظا
ومعنى ويتحكم بالتالى فيه^(٢) يقول سيبويه :
"ضربت زيدا هو الحد لأنك تريد أن تعمله (أى
الفعل) وتحمل عليه الاسم كما كان الحد :
ضرب زيد عمرا حيث كان " زيد " أول ما
تشغل به الفعل وإن قدمت الاسم (أى المفعول)
فهو عربى وذلك قولك : زيدا ضربت " (٤١/١) .
" أول ما تشغل به الفعل " : إن هذه
الملاحظة خطيرة جدا لأننا نعرف بذلك وبما يقوله
فى أماكن أخرى من كتابه أن عنصرين اثنين
لا تكاد تخلو منهما أبدا البنية اللفظية للجملة
وهما العامل والمعمول الأول الذى أشار إليه
سيبويه بأنه أول ما شغل به الفعل ثم يقول
سيبويه : "عبد الله (فى : كم عبد الله ما كـ)
يرتفع بالابتداء كما ارتفع بالفعل حين قلت :
كم رجل ضرب عبد الله " (٢٩٢/١) ويقول

(١) لا تنسى أن الخليل بن أحمد كان رياضيا ممتازا .

(٢) وقد ترجم الأوروبيون فى القرن الثالث عشر الميلادى مصطلح عمل العربى إلى اللاتينية regere بمعنى عمل
فى اللفظ الإعراب . ومنها جاءت كلمة rection فى النحو الأروى ، ثم قل اهتمام اللسانيات بهذا المفهوم حتى أحياء

من جديد تشومسكى باسم government .

أيضا : "أما ضربت وقتلت فإن الأسماء بعدها
بمنزلة المبنى على المبتدأ" (١ / ٣٩٣)
فاتضح بهذا الكلام أن الفعل كعامل يقع موقع
الابتداء وأن المفعول به يقع موقع المبنى على
المبتدأ أي الخبر فالتوازي (القياس) أو
التناظر هو خاص ببنية اللفظ وليس له أي
علاقة بصيغة الخطاب . وعلى هذا الأساس
نستطيع أن نوسع الجدول الحملى السابق هكذا:

الأصل (أو النواة)	المعامل	المعمول ١	المعمول ٢
	الابتداء (الخلو من العوامل اللفظية)	زید	منطلق
	عوامل لفظية	زیدا	منطلق
		زید	منطلقا
		زیدا	منطلقا
		زیدا	منطلقا •
الأصل	قام	زید	-
	ضرب	زید	عمرا
	ضرب	ت	عمرا

ويمكن أن نستنتج من هذا ما يلي :

١ - مفهوم المثال والحد : حملنا كل هذه
الجمل بعضها على بعض كما فعل سيبويه
وبذلك تظهر موازات تامة بين العناصر لأن
إجراء الشئ على ما هو بمنزلته حتى ولو كان
مختلفا عنه تماما يكشف لنا البنية اللفظية
الجامعة أي التي تشترك فيها العدد اللانهائي

من الجمل وهذا هو الذي يسميه النحاة (فى
مستوى الجملة ههنا) (١) قياسا ومثالا وحدا
وأصلا تبني عليه أى تتفرع عليه الفروع فهو
بالنسبة للجمل كالبناء والوزن (والمثال)
بالنسبة للكلمة .

٢ - تحديد المواضع فى داخل الحد
ومحتواها . وبهذا المثال يتحدد الموضع الخاص

بكل عنصر فموضع العامل مثلاً ليس هو مكاناً معيناً في مدرج الكلام بل هو موضع في داخل الحد والمثال ثم إن العامل أو المعمول ١ شئ ومحتواه شئ آخر مثل فاء الكلمة أو عينها أو لامها شئ ومحتواها شئ آخر . فقد يكون في موضع العامل فعل تام أو فعل ناسخ أو إن وأخواتها أو تركيب مثل حسبت (وهي جملة) بل حتى عامل ومعمول ١ ومعمول ٢ مثل " أعلمت عمراً " فكل ذلك عامل .

وبفضل هذه المواضع مع عملية حمل عنصر على عنصر الجامع بينها يتضح شئ مهم جداً وهو أن الابتداء هو بمنزلة الفعل وكلاهما بمنزلة الأفعال الناسخة وإن وأخواتها وحسبت وأعلمت وأخواتها وأن الفاعل والمبتدأ واسم كان بمنزلة واحدة (المعمول ١) وأن خبر المبتدأ بمنزلة المفعول به .

٣ - إثبات قانون مهم وهو امتناع تقديم المعمول ١ على عامله :

إن عبارة سيبويه : أول ما تشغل به الفعل " تستلزم شيئاً آخر وهو استحالة تقدم المعمول ١ على عامله مهما كان فإذا قدم محتواه تغيرت

بنية الجملة (دون معناها الوضعي) : فـ"قام عبد الله" غير " عبد الله قام" . وقد برع المبرد في البرهنة على هذه الحقيقة . يقول : " فإن زعم زاعم أنه إنما يرفع عبد الله بفعله { في "عبد الله قام" } فقد أحال من جهات : منها أن قام فعل ولا يرفع الفعل فاعلين إلا على جهة الإشراك (العطف) .. فكيف يرفع عبد الله وضميره ؟ وأنت إذا أظهرت هذا الضمير بأن تجعل في موضعه غيره بان لك وذلك قولك : " عبد الله قام أخوه " فإنما ضميره في موضع " أخيه " . ومن فساد قولهم أنك تقول : " رأيت عبد الله قام " فيدخل على الابتداء ما يزيله ويبقى الضمير على حاله ... (المقتضب ، ١٢٨/٤) ويظهر كل هذا بوضوح إذا قمنا بنفس العمليات الحملية :

قام	عبد الله	-	-
	عبد الله	قام	
	عبد الله	قام	أخوه
رأيت	عبد الله	قام	

٤ - ومن ثم جواز التقديم والتأخير ما عدا المعمول الأول بالنسبة إلى عامله وفي حدود معينة : فهذا خاص بمستوى التراكيب المفيدة أي

الجملة ولا يحصل هذا إطلاقاً في المستويات التي هي تحتها (كاللفظة والكلمة)^(١) . ويمكن أن تعرف العناصر الثلاثة بفضل الاستقرار الخاص بالمعمول الأول وبعلامات الإعراب التي هي نتيجة لتأثير العامل^(٢) .

٥ - تكون هذه العناصر التركيبية النواة

الثابتة :

وهي بدورها وبهذه الصفة يمكن أن تدخل عليها عناصر أخرى زائدة قابلة للتقديم والتأخير وهي عناصر التخصيص لفظاً ومعنى مثل الزوائد في داخل النواة (إنَّ وكان وغيرهما) .

وهذه المخصصات هي جميع المنصوبات (الخ) والاستفهامية وغيرها هي أيضاً تمثل

(١) مفهوم اللفظة لاسبيل إلى العثور عليه إلا في كتاب سيبويه بعض النحاة الذين فهموا جيداً الكتاب . ولا يسميها سيبويه هكذا بل يقول : الكلمة المفردة وما بمنزلتها . وأهمية هذا المفهوم على قدر أهمية الجملة (الرضى هو الذى سماها لفظة) . وتطرقنا لهذا الموضوع فى الكثير من مقالاتنا مثل : النظرية الخليلية وعلاج اللغات على الحاسوب (المؤتمر الثانى فى اللغويات الحاسوبية . الكويت ١٩٨٨) .

(٢) أما ما أتى به ابن مضاء الأندلسى من نقد لمفهوم العامل فلا يعتد به لأنه هو النحوى الوحيد من بين أكثر من ألفى نحوى ذكرهم السيوطى فى كتابه البغية وقف هذا الموقف السلبي إزاء النحو العلمى وخاصة القياس وقد أراد بذلك أن يطبق على النحو العربى ظاهرياً أبى داود وابن حزم وقد تحمس بعض المحدثين لهذا الرأى فلم يوفقوا لأن علوم اللسان لا تكتفى بالوصف الساذج للغة بل تتجاوز به إلى التفسير العلمى . واتفق أن ظهر هذا التحمس مع ظهور اللسانيات الوصفية فى الغرب واهتم بعضهم بها وهو رد فعل ضد النحو التقليدى الغربى الذى أصبح لا يميز بين النحو التعليمى والنحو العلمى وابتعد كل البعد عن التصور الأول الأصل .

بصيغة أوسع تندرج تحتها هذه الصيغة الأولية ونأسف لضيق المكان لعدم إمكان عرضها على القراء الكرام^(١).

فهذه الصياغة تخص كما قلنا لفظ الجملة لا الجملة كخطاب وكلا النظريتين ضرورية ثم إن التخليط بينهما أو بالأصح تفسير بنية اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخص الإفادة غلط فادح وكذلك الإفادة وظواهر التبليغ ينبغي أن تفسر باللجوء إلى اللفظ لأن اللفظ يدل على معناه الموضوع له وعلى أكثر من معنى فرعى وهذا المعنى نفسه قد يدل أو يلزمه كما يقول عبد القاهر الجرجاني معنى آخر فهذه الظواهر لا يرجع السبب فيها إلى اللفظ في ذاته . وهذا قد تنبه إليه جيدا علماؤنا القدامى . قال بهذا الصدد صاحب بدائع الفوائد : إذا قلت : " على زيد دين " فإنك تجد هذا الكلام في قوة قولك : " زيد مديان " أو مدين " فمحط الفائدة هو الدين وهو المستفاد من

الإخبار فلا تنحبس في الأوضاع وتقول : " على زيد " جار ومجرور فكيف يكون مبتدأ فأنت تراه هو المخبر عنه في الحقيقة^(٢) فليس المقصود الإخبار عن الدين بل عن زيد .. فهذا القدر هو الذى حسن الإخبار عن الفكرة ههنا فإنها ليست خبرا في الحقيقة وإنما هي في الحقيقة خبر عن المعرفة المتقدمة . فهذا حقيقة الكلام وأما تقديره الإعرابى النحوى فهو أن المجرور خبر مقدم والنكرة مرفوعة بالابتداء (بدائع الفوائد ١١/١٤٨ - ١٤٩ وهو مأخوذ من كتاب نتائج الفكر للسهيلى) .

فحقيقة الكلام يعنى بها الكلام فى ذاته أى كخطاب لا من حيث بنية لفظه وأما هذه البنية اللفظية فيعبر عنها مرة بترتيب اللفظ ومرة أخرى بالتغيير الإعرابى النحوى ويمكن أن نعبر بالفرنسية عن الأول بـ (communicationnel) réalité و du discours والثانى بـ Sémiologique

(١) وقد أطلنا الكلام فى ذلك وفى جوانب أخرى هامة فى النظرية الخليلية فى كتابنا : علم اللسان العربى وعلم اللسان العام .
(٢) وعلى هذا فالمبتدأ ليس دائما هو المخبر عنه أى المسند إليه .

لتصرفات الناطقين فى التخاطب العفوى ومن
ثم لأوضاع اللغة وذلك إلى حد بعيد جدا :
بالتقديم والتأخير والقلب والحذف الكثيرة
والاختزال والاختلاس وإضمار المبتدأ أو الخبر
وغير ذلك مما كثر مجيئه فى الكتاب .

وستعرض هنا فقط للجملة المفيدة وما
يطرأ عليها من تغيير فى واقع الاستعمال إذ
هناك تغييرات عديدة تصيب اللفظة والكلمة
وأصوات اللغة .

يتكلم سيبويه عن مستوى من التعبير
المستخف يسميه : سعة الكلام والاختصار
ويكثر من ذكر هذا المستوى وخاصة فى أبواب
المنصوبات ويمثل له بأمثلة كثيرة جدا بما سمعه
هو بذاته من أفواه العرب أو مما رواه شيوخه
الثقات . وهذا النوع من التعبير غير موجود
غالباً^(٢) (إلا بعض الاقتباسات والروايات)
فى الشواهد التى يذكرها المتأخرون من النحاة

(١) إن هذا التمييز العلمى الموضوعى لانهجده إطلاقاً فى اللسانيات الغربية اللهم إلا فى نظرية جانينويان
الفرنسى وقد اكتشف ذلك برصده لمدة عشرين سنة لأعراض الكلام فبين أن من تلك الآفات ما يصيب القدرة على
التركيب ومنها ما يصيب القدرة على استبدال مفردة بأخرى ومعرفة معانيها .

(٢) تلك هى ميزة هامة للمتقدمين من العلماء أما المتأخرون فيكتفون من الشواهد بما حفظ عن ظهر القلب مثل
الشعور والقراءات القرآنية وبعض العبارات التى تجرى مجرى الأمثال . أما هذه العبارات العفوية التى تكتب ولا تحفظ
غالباً فلا سبيل إلى وجودها إلا فى زمان الفصاحة العفوية . وقد ذكر بعضها ابن مالك وابن هشام فى بعض الأبواب
مثل بابى التنازع والاشتغال .

grammatical وقد يعبر سيبويه عن الأول
باللفظ اختصاراً فى مقابل المعنى ولا يريد
هنا بالمعنى مدلول اللفظ الأصلى أى الموضوع
له فهذا يدخل فى ميدان اللفظ (sémio-
gique) بل يريد بذلك دلالة الحال أو الدلالة
العقلية أو أى دلالة غير اللفظية ويسميه
العلماء العرب " لازم المعنى " فهذا يخص ال
sémantique أى المعنى فى ذاته لا كمدلول
اللفظ وبالنسبة إلى اللفظ الدال عليه . والفرق بينهما
كالفرق بين النحو والبلاغة^(١) .

١ - اللفظ الدال والمعنى المدلول عليه باللفظ فى الوضع والاستعمال :

إن هناك ميزة أخرى لسيبويه لاتقل أهمية
عما ذكرناه وهو شئ تجاهله ولم يهتم به
المتأخرون من العلماء وكذلك المحدثون : ألا
وهو اهتمامه الكبير هو والنحاة الأولون
بالاستعمال الحقيقى للغة والرصد المتواصل

لسبب واضح وهو عدم وجود من يؤخذ منه اللغة بعد القرن الرابع الهجرى لذهاب السليقة .

- الإجراء على الموضع :

يقول سيبويه : باب ما يجرى على الموضع لا على الاسم الذى قبله : وذلك قولك : " ليس زيد بجبان ولا بخيلا " و " ما زيد بأخيك ولا صاحبك " . والوجه فيه الجرّ " (٣٣ / ١) .

أى الأصل والقياس النحوى يوجب الجرّ ولكن الاستعمال الحقيقى (السماع) جاء منه ما يخالف ذلك وإذا كثر صار أصلا آخر يقول ابن جنى إن " السماع يبطل القياس " إذا لم يرد فى الاستعمال ما يؤيد القياس . ويقول أيضا : وقد حملهم قرب الجوار على أن جرّوا : " هذا جحر ضبّ خرب " (هذا يذكره بعض المتأخرين لشهرته) فكيف ما يصح معناه " (٣٤ / ١) ، وقد يتفق أن يمتنع هذا الإجراء أولا لعدم وجوده فى الاستعمال ثم لأنه يخلّ باللغة وذلك مثل قوله : " ولو قلت : ما زيد على قومنا ولا عندنا كان النصب ليس غير ولا يجوز حملة على " على " لأن " عندنا " لا تستعمل إلا ظرفا " (٣٤) .

- انشغال الفعل بضمير إجراء والظروف هكنا :

وسمع سيبويه العرب تقول : زيدا ضربت وزيدا ضربه (وعلى مثاله) ويوم الجمعة ألقاك فيه ويوم الجمعة آتيك برفع يوم ونصبه . فالأول هو الحد أما النصب وقد جاء فى الاستعمال بالنصب مع وجود الضمير .

- إعمال الأفعال الناسخة والغاؤها :

وتقول : زيد أظنه ذاهبا ومن قال : عبد الله ضربته نصب فقال : عبد الله أظنه ذاهبا .. فإن ألغيت قلت : عبد الله أظن ذاهب . وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى وكل عربى جيد (٦١) . ويريد سيبويه أن كلا المشالين مستعمل عند العرب ولا يريد من كلمة " جيد " إلا هذا (خلافا لما قد يعتقده بعضهم من تدخل سيبويه فى الحكم على كلام العرب بالحسن والقبح تعسفا) .

- الحذف والإضمار للاختصار أو لعلم المخاطب رؤية الحال :

قال : " كما يقول إذا ذكر إنسان شيئا قال

زيد وقال الناس أنت (٧١/١) قال تعالى جده :
 "طاعة وقول معروف (١) " فهو مثله فيما أن يكون
 أضمر الاسم (المبتدأ) وجعل هذا خبره كأنه قال : أمرى
 طاعة وقول معروف أو يكون أضمر الخبر فقال : طاعة
 وقول معروف أمثل (٧١) ويقول : وذلك قولك : متى
 سير عليه ؟ فيقول : مقدم الحج وخفوق النجم ... فإنما
 هو زمن مقدم الحج وحين خفوقه ولكنه على سعة
 الكلام والاختصار ... وإن رفعته أجمع كان عربيا
 كثيرا " (١١٤) ويقول : وحذفوا كما قالوا : " حينئذ
 الآن " وإنما يريد : حينئذ واسمع الآن ... وإنما أضمرنا
 ما كان يقع مظهرا استخفافا ولأن المخاطب يعلم ما
 يعنى فجرى بمنزلة المثل كما نقول : لا عليك (١١٤)
 يقول : سير عليه ذا صباح أخبرنا بذلك يونس عن
 العرب إلا أنه جاء فى لغة لشعهم مفارقا لذات مرة
 وذات ليلة (١١٥) يقول : أقائما وقد قعد الناس
 وأقاعدا وقد سار الركب .. وذلك أنه رأى رجلا فى حال
 قيام أو فى حال قعود فأراد أن ينتبه فكأنه لفظ بقوله :
 أتقوم قائما وأتقعد قاعدا ولكنه حذف استغناء بما يرى
 من الحال وصار الاسم بدلا من اللفظ بالفعل " (١٧١)
 ويواصل : "وحدثنا بعض العرب أن رجلا من بنى أسد

قال يوم جيلة واستقبله بغير أعور فتطير منه فقال :
 يا بنى أسد أعور وذا ناب (١٧٢). يقول : وسمعنا
 بعض العرب الموثوق به يقال له : كيف أصبحت ؟
 فيقول : حمد لله ... كأنه يحمله على مضمر فى بنيته
 هو المظهر (١٦١) ومثله قول العرب : من أنت زيد ؟
 أى ومن أنت كلامك زيد ؟ فتركوا إظهار الرفع كترك
 إظهار الناصب " (١٦٢).

وهكذا لا يزال سيبويه يبهنا بكثرة ما يرويه من
 كلام العرب محاولا دائما أن يفسره بالنسبة للحد
 والأصل وبذلك يظهر الفرق الشاسع بين هذا العمل
 الوصفى التفسيري فى نفس الوقت وسيختفى نهائيا
 من النحو وبين هذا الذى سيصير سرد قواعد جامدة
 مع الاكتفاء بشاهد قرأنى أو شعري واحد فى الغالب .
 ويمكن أن نلخص ما ذكرناه فى هذه المقالة الوجيزة :
 إن تحت كلام سيبويه هذا نظرية لسانية عميقة جدا
 يدين بها خاصة للخليل بن أحمد وشيوخه الآخرين
 وفيها الكثير مما زاده هو فيها وأبدع إبداعا . فمن أهم
 المبادئ التى تركز عليها ذكر التمييز الصارم
 (الذى لا يقبل أى تساهل) فى التحليل والتفسير
 بين ميلانين اثنين من اللغة ليس بينهما أى تناظر

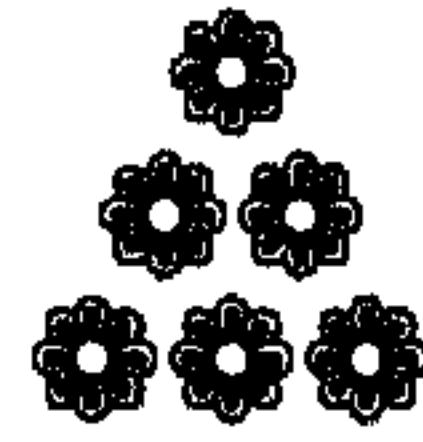
وهو ميدان اللفظ الدال ومدلولاته الوضعية من جهة
وبين الخطاب الذى هو كيفية استعمال هذا اللفظ
ومدلولاته فى عملية الإفادة . ولاتكمن الميزة فى هذا
فقط بل فى امتناع اللجوء إلى أحدهما لتفسير ظواهر
الآخر وهذا الخلط هو أعظم خطأ يرتكبه النحو
العربى التقليدى (نحو ابن مالك) وكذلك المدرسة
البنوية فى اللسانيات الغربية الحديثة (وإلى حد ما
نظرية تشومسكى فى أول أمرها) . وقد رأينا كيف
ينطبق ذلك على الجملة المفيدة ثم إن هناك تصورا آخر
للنحاة العرب الأولين لم نجده عند المحدثين إلا القليل
وهو أن اللغة لا تتألف فقط من قطع كلامية بل هناك
وحدات مجردة تدل على معنى مثل المادة الأصلية
للكلمة ومثالها ووزنها فهذه وحدات ليس لها شكل

القطعة من الكلام وهذا النوع من الوحدات موجود فى
مستوى التراكيب فصيغة الجملة العربية اللفظية هى
سياق من العامل والمعمول الأول يكونان زوجا مرتبا
يبنى عليه المعمول الثانى وتدخل على هذه النواة زوائد
مثل الزوائد التى تدخل فى بنية الكلمة . وينبغى
أن لا نخلط بين هذه الصيغة الخاصة باللفظ وصيغة
الخطاب التى تتكون من المسند والمسند إليه حتى
ولو أمكن تأويل أحدهما بالمبتدأ وليس ذلك مطردا
وهذا التصور لنوعية الوحدات هو تصور عربى محض
لا يوجد مثله فى اللسانيات الغربية .

والله ولى التوفيق

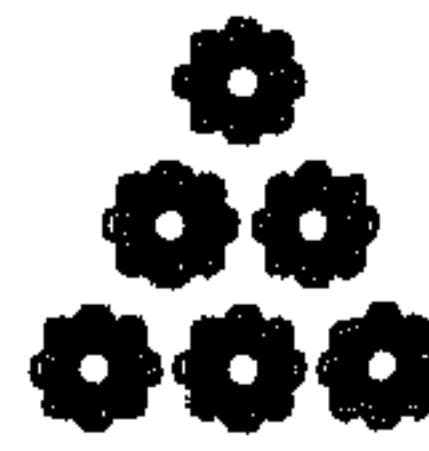
عبد الرحمن الحاج صالح

عضو المجمع المراسل من الجزائر



المراجع المذكورة

- سيويه ، الكتاب ، ط ، بولاق ، جزآن ، ١٣١٦ - ١٣١٧ .
- الأخفش (سعيد بن مسعدة) ، كتاب القوافى ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، بيروت ١٣٩٤ .
- ابن جنى ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، ٣ أجزاء القاهرة ١٣٨٥ - ١٣٨٩ .
- ابن فارس ، الصحاح ، ط . السلفية ، القاهرة ١٣٢٨ .
- ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ابن مالك ، الألفية . شرح الأشموني ، القاهرة ١٣٦٦ .
- ابن مالك ، الألفية ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصر ، تحقيق محمد ك . بركات . القاهرة ١٣٨٨ .
- ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، ٤ أجزاء ، القاهرة بلون تاريخ .
- المبرد ، المقتضب ، تحقيق ع . عزيمة ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٨٥ .
- الرضى الاسترأبادى ، شرح الكافية ، اسطنبول ، ١٢٧٥ .
- السيرافى ، شرح كتاب سيويه ، معهد المخطوطات العربية .
- السهيلي ، نتائج الفكر ، تحقيق م . البناء ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- عبد الرحمن الحاج صالح ، النحو العربى ومنطق أرسطو ، مجلة كلية الآداب ، الجزائر ١٩٦٤ .



الأسس النفسية والفكرية لتعريب الطب

للأستاذ الدكتور محمد عماد فضلى

كثيرا ما يتجه الحوار حول تعريب الطب إلى النواحي الوجدانية والانفعالية والقومية من هذه القضية ، فنجد الطرف المؤيد للتعريب يشيد باللغة العربية وإمكاناتها التعبيرية وصلاحياتها لحمل أمانة العلم ، كما حملتها فى العهد الذهبى للحضارة العربية الإسلامية . فى حين نجد الطرف المقابل يحذر من وقوع كارثة إذا هجرنا اللغات الأجنبية فى تعليمنا للطب وتعلمنا له ، إذ سيؤدى ذلك فى رأيهم إلى تخلفنا بل واختفائنا من خريطة العالم وهنا يقوم جدل لا ينتهى أبدا إلى كلمة سواء ، وقد قام هذا الجدل - فى رأى - بدور المعوق الأول لاتخاذ أية خطوة عملية نحو التعريب .

ولذا حرصت منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما أن أحصر حديثى فى هذه القضية على نواحيها العلمية الموضوعية ، فأبين بقدر إمكانى أن هذه القضية لها أسس علمية موضوعية تجريبية ، تشمل الدراسات اللغوية والنفسية والفكرية ، بحيث يمكننا إدارة الحوار حول تعريب الطب على أسس موضوعية بقدر الإمكان تمكنا - بتوفيق من الله من الوصول إلى كلمة سواء .

بدأ الاهتمام بدراسة طرق تعلم اللغات الأجنبية من ظاهرة لا بد أنها لفتت أنظارنا فى يوم من الأيام ، ألا وهى أن الطفل يكتسب لغته الأصلية - أى اللغة الأم - فى يسر وسرعة ، وبدرجة عالية من الاتقان لا يمكن مقارنتها بما يحدث عند اكتسابه للغات الأجنبية ، ومن هنا أجريت عدة دراسات لتفسير هذه الظاهرة ، أرجو من الله أن يوفقنى

* ألقىت المحاضرة فى الجلسة السادسة للمؤتمر المنعقدة مساء يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٢ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

إلى عرض موجز لها يمثل جوانبها التي تم الاتفاق عليها بين أغلب الدارسين لها .

وأبدأ بعرض الطريقة التي تكتسب بها اللغة . أى لغة - معتمدا على ما توصلت إليه دراسات عالم اللغة الأشهر " ناعوم تشومسكى " مضافا إليها بعض ما توصلت إليه مدارس موازية يمكنها أن تضيف إلى نتائج " تشومسكى " ولا تتعارض فى أساسيتها .

يقول تشومسكى : أن دراساته التجريبية أكدت له وجود قدرة فطرية يختص بها الإنسان وتسمح له وحده بتعلم اللغة الحقيقية الوحيدة المعروفة إلى الآن وهى لغة البشر وقد أطلق تشومسكى على هذه القدرة اسم " جهاز اكتساب اللغة " .

- وهذا الجهاز الفطرى يدفع الطفل إلى تعلم اللغة عن طريق تبينه للبنى اللغوية المختلفة ، واستخدامها للتواصل مع أفراد مجتمعه ، ومقارنة الطفل لتلك البنى اللغوية بتلك التى يستخدمها البالغون من حوله ، يصلح الطفل بناءً اللغوية مرحلة بعد أخرى حتى يصل إلى امتلاك لغة البالغين بكل

نواحيها الصوتية والنحوية والصرفية - بل والدلالية والاجتماعية أيضا .

ويبدأ الطفل محاولاته بجمل بسيطة من كلمتين ثم يتطور إلى الجمل المركبة فاكْتساب اللغة إذن عملية تطويرية تحدث عليها تلك القدرة الفطرية التى يولد بها الطفل .

وهناك أدلة تجريبية عديدة على صحة هذه الاستنتاجات ، منها ما يقع فيه الطفل من أخطاء أثناء مروره بهذه المراحل مثل استخدام بعض الحروف مكان حروف أخرى لبعض الوقت ، ومن أشهرها استخدام حرف التاء بدلا من حرف الكاف .

أما من الناحية الصرفية ، فقد يعمم الطفل صيغة جمع التكسير مثلا لبعض الوقت فيجمع كلمة " مكتبة " على " مكاتب " وسميت هذه الأخطاء " بالأخطاء المنطقية أو المطردة إذ أنها شائعة فى كل اللغات مما يدل على أن أصلها واحد ، فهى فى الحقيقة مراحل مطردة من مراحل نمو اللغة وليست أخطاء حقيقية .

كما لا حظ أن الطفل قد يكتسب لفظا ما بمجرد سماعه مرة واحدة دون حاجة إلى التكرار

أو التعزيز كما كان يقول السلوكيون ، كما وجد أن عامل الفهم يقوى ويسرع من هذا النمو اللغوى ، وتكاد تكون هذه الأفكار موضع الإجماع بين اللغويين .

وقد ذهب تشومسكى أبعد من ذلك ، فوجد ظاهرتين أخريين هما ظاهرة " الملكة اللغوية " وظاهرة " الأداء اللغوى " وتعنى الأولى قدرة الطفل الفطرية على تعلم قواعد النحو والصرف وتحويل الجمل من صيغة إلى أخرى مثل تحويل صيغة الإثبات إلى صيغة النفى ويقصد بالظاهرة الثانية ما ينطق به الطفل فعلا ، ويقول تشومسكى : إن هاتين القدرتين فطريتان وموجودتان فى كل الأطفال بغض النظر عن نوع اللغة التى يتعلمونها ، ولكن هناك خلاف كبير حول هذه النقطة .

وتضيف مدرسة أخرى من مدارس تعلم اللغات ، فكرة اكتساب الطفل للاستخدام الصحيح للغة فى مجال التواصل الاجتماعى ، والذي تختلف قواعده من مجتمع لآخر ، ولنتقل الآن إلى مقارنة ما ذكرناه إلى الآن ، بما يحدث عند اكتساب لغة أجنبية وهنا نلاحظ الفروق الآتية :

١ - يتعلم الطفل اللغة الأم وهو بعد فى سن يتميز فيها الجهاز العصبى بأقصى درجة من المرونة ، فيصبح تعلم اللغة الأم جزءا لا يتجزأ من نمو الطفل الفكرى والنفسى والاجتماعى وينمو الطفل ، وينمو جهازه العصبى فيفقد شيئا فشيئا مرونته الأولى ، وتتخصص بعض مناطق المخ فى أداء وظيفة بعينها دون غيرها ، ومن أشهر تلك الأمثلة تخصص نصف الكرة المخى الأيسر فى العمليات الفكرية المنطقية الموضوعية ، بشكل عام ، ومن بينها اللغة ، فى حين يتخصص نصف الكرة الأيمن فى العمليات الوجدانية وتذوق الجماليات مثل الموسيقى ويبدأ هذا التخصص منذ السنة الثانية ويبلغ أشده أو يكاد عند الثانية عشرة أو سن البلوغ ، فيفقد الدماغ الجزء الأكبر من مرونته بحيث يصعب على الطفل إتقان لغة أجنبية إذا ما تعرض لتعلمها لأول مرة بعد سن السابعة وقد يصبح ذلك مستحيلا إذا لم يتعرض لتلك التجربة حتى سن الثانية عشرة ، أما إذا اكتسب لغة أخرى غير لغة الأم قبل أن تضعف تلك المرونة ، فإنه يستطيع اكتساب

لغات أخرى فيما بعد إلى قدر ما ، كما أنه يستطيع الاستزادة من إتقان اللغات بمرور سنى العمر .

٢ - يتعلم الطفل اللغة الأم تحت ظروف طبيعية إذ يعيش فى مجتمع يتكلم كل أفرادها تلك اللغة ، فيصبح اكتسابه للغة الأم جزءاً لا يتجزأ من مراحل نموه الفكرى والنفسى والاجتماعى ، وبذلك فهو يكتسبها بسرعة ويتقنها إتقاناً لا يتوفر للغة الأجنبية التى يتعلمها فى ظروف المدرسة الرسمية ، وفى فصول محدودة الفرص ، ويمكن تصور الصعوبة المضافة إذا كان مدرس اللغة الأجنبية لا يتكلمها بإتقان - بل وقد تؤدي مثل هذه الظروف الرسمية المحيطة إلى نفور الطفل من تعلم اللغة الأجنبية أو التوقف عن ذلك تماماً . وهناك طريقة أخرى لتعلم اللغة الأجنبية وهى تعلمها فى مجتمعها الأصلى ولكن بطريقة تلقائية ، لا يصقلها التعرف على قواعد اللغة النحوية والصرفية وهو ما نلاحظه فى من يعمل فى مجتمع أجنبى ، فيلتقط لغته بشكل يكفيه فقط لحل مشكلاته العملية ، ولكنه لا يتكلم اللغة بالطريقة التى يتكلم بها

أهلها وإذا حدث هذا فيصعب على هذا التعلم التلقائى أن يتقن هذه اللغة فيما بعد إذ أنه لا يستطيع نسيان الأخطاء اللغوية التى تعود عليها سنين طويلة .

٣ - يؤثر الاكتساب السابق للغة الأم ايجاباً وسلباً على تعلم اللغة الأجنبية إذ أن هناك تشابه بين اللغات المختلفة من ناحية استخدام الكلمات والأفعال وبعض الصيغ التركيبية اللغوية ، خصوصاً لو كانت اللغة الأجنبية تابعة لنفس عائلة اللغة الأم (الفرنسية والأسبانية) ولكن اختلاف اللغات من النواحي الصوتية والنحوية والصرفية قد يؤدي إلى نوع من التداخل السلبى فى اكتساب اللغة الأجنبية - خصوصاً عندما تكون اللغتان - لغة الأم واللغة الأجنبية ، مختلفتى العائلة ، مثل اللغة العربية واللغة الانجليزية ، فالأولى : اشتقاقية والثانية : غروية ، وكلنا نشاهد هذا التداخل السلبى فى النواحي الصوتية فيصعب على الطفل العربى نطق حرف p ، v ، أما الناحية الصرفية فكلنا نحن معلمى الطب ، قد تعودنا على سماع كلمات مثل " برانشات " بدلا من

Branches مثلا كما أن أداة التعريف " ال " تدخل على الكلمات الإنجليزية بسهولة ويسر فنسمع ال Patient والHeadache وهكذا ، كما يشيع بيننا حذف فعل الكينونة "Verb to be" من الجمل الإنجليزية إذ أنه لا يستخدم بهذا المعنى فى اللغة العربية فنسمع جملة تقول مثلا Patient Pale بدلا من The lions are animals This Lions patient is pale بدلا من are animals. وكذلك استخدم أداة التعريف عند استخدام الاسم للدلالة على الجنس وهكذا .

ومثل هذه الأخطاء نشاهد مثيلاتها عند اكتساب اللغة الأم على أنها كما قلنا أخطاء متطورة " تختفى باستكمال الطفل لمراحل نموه اللغوى ، أما فى اللغات الأجنبية فقد يتوقف الدارس عند مرحلة معينة من هذه المراحل ، وبذلك يكتسب لغة وسيطة كما يسميها دارسو اللغات ، بدلا من اللغة الأجنبية التى يقصد تعلمها ، وكلنا الآن نتقبل فى كلية الطب هذه اللغة الوسيطة فى حديثنا وفى المحاضرات

والدروس الإكلينيكية ، بل وفى اللغة المكتوبة فى كراسات الإجابة ، بحيث نستطيع أن نقول إننا ابتكرنا رطانة طبية جديدة لاعربية ولا إنجليزية ، ولا يفهما إلا الطبيب المصرى ، وبالتالي لا يستطيع استخدامها عند التواصل مع أقرانه الأجانب سواء بالحديث فى المؤتمرات أو فى قراءة المراجع الأجنبية ، ولعل هذا هو الذى يدفع الطالب عندنا إلى تفضيل الملخصات التى يكتبها أساتذته بطريقة السرد المختصر - المبنى على أشباه الجمل فى شكل قوائم تذكر فيها أسباب الأمراض أو علاجاتها أو تشخيصها إلخ ، ولا يتجاوز الطالب هذه النصوص المبتسرة إلى النصوص المكتوبة بلغة أجنبية سليمة متكاملة سواء كتبها أستاذ عربى أو أجنبى .

٤ - صعوبة إتقان النواحي الدلالية والاجتماعية للغة ، إذ إن الدارس لا يتعلم اللغة الأجنبية فى الإطار الاجتماعى لها ، ولهذا عواقبه المضحكة والمبكية معا والتى قرأت منها مثالين منذ أيام فى إحدى الصحف المصرية ، تعرض فيها طلبة يابانيون للقتل .

بسبب عدم فهمهم لبعض المصطلحات اللغوية التي تعارف عليها المجتمع الأمريكى وبناء على هذا فقد نصح بعض علماء اللغة بالإبقاء على بعض الأخطاء الصرفية أو النحوية عند الطلبة الأجانب حتى يستمر التعامل معهم على انهم غرباء عن المجتمع فتغفر لهم أخطاؤهم الدلالية والاجتماعية عند استخدامهم للغة الأجنبية .

ومن هنا نستطيع القول إن اللغة الأجنبية لا يمكن أن تكون أمثل الطرق للدخول المبدئى إلى تعلم العلوم والمعارف المختلفة ، وهى إذا اتقنت اتقاناً تاماً تصلح للإطلاع على المراجع الاجنبية كمصدر إضافى - أما إذا أتقنت من ناحية التحدث بها فقد تصلح أيضاً للتواصل العلمى فى مجالات المؤتمرات واللقاءات العلمية ، وهو ما يعبر عنه لغوياً باكتساب اللغة بدافع وسيلى - أما استخدام اللغة الأجنبية للاتصال الثقافى والاجتماعى فيحتاج إلى دافع آخر أبعد منالاً وهو الدافع التكاملى الذى لا يتحقق إلا بدراسة اللغة الاجنبية تحت ظروف طبيعية أهمها تعلمها تعلماً إرادياً فى

مجتمعها الأصلى بحيث تكاد تكون صنواً للغة الأم .

والقول بأن اللغة الأجنبية لا يمكن أن تكون المدخل الأسلم للدخول المبدئى فى تعلم العلوم لا يستند فحسب على كل ما ذكرته من فروق من تعلم اللغة الام واللغة الأجنبية بل يعتمد أساساً على نقطة أخرى وهى علاقة اللغة بالتفكير .

وسأكتفى هنا بالإشارة إلى مدرستين تعتبران أهم المدارس التى ناقشت هذه النقطة وهى مدرسة جان بياجيه السويسرية - ومدرسة فايغوتسكى الروسية التى رادها عالم الفسيولوجيا العصبية لوريا .

أشار جان بياجيه إلى أن اللغة تيسر اكتساب الفكر وتعمقه إذا بدونها لا يستطيع الطفل الخروج من حدود الإدراكات الحسية المبدئية التى يعتمد عليها فى اكتساب مقومات الفكر المبدئية مثل تكوين العلاقات المنطقية المبدئية باستخدام المدركات الحسية الحركية . (أى عند تناول الأشياء المحسوسة فى اللعب أو التعامل مع محيطه الحسى ، كما أن استخدامهم للرموز يمتد إلى آفاق أوسع

وأعمق باستخدامه للرموز اللفظية ، إلا أن
بياجيه نادى بأن نمو الفكر ونمو اللغة لا يعتمد
أحدهما على الآخر اعتمادا كبيرا وإن كانا
متزامنين وقد بنى استنتاجه هذا أساسا على ما
توصل إليه من دراسة حديث الطفل عند أول
مراحل اكتساب اللغة وعند بدء اتصال الطفل
بالمجتمع وخروجه من المرحلة الاجترارية إلى أول
مراحل التطبع الاجتماعي الذي يعتبر فيها
الطفل نفسه جزءاً لا يتجزأ من كتلة المجتمع
وقبل أن يتميز بانفراديته وانتماءه إلى المجتمع
كأحد افراده . هذا النوع من الحديث عرف
بالحديث الذاتي أو المتمركز حول الذات وله
خصائص مميزة :

لعل أهمها - هو خلوه من الفاعل أى المسند
إليه وكل ما يتعلق به واكتفائه بالمسند ، ولذا
لا يستطيع أن يفهمه المحيطون بالطفل ، وقد
وجد بياجيه أن هذا الحديث يقل بتقدم الطفل
في العمر وينموه الاجتماعي ولذا فقد اعتبره
مرحلة تنتهي بالاضمحلال والاختفاء عندما
يبلغ الطفل مرحلة تميزه لفرديته ولمكانه في
المجتمع كفرد يتعامل مع المجتمع وليس جزءا

من الكل الهلامي لهذا المجتمع وهنا تأتي
تجارب فايجوتسكى ، فقد درس هذا الحديث
الذاتي دراسة تجريبية توصل عن طريقها إلى
تبين الخصائص التالية لهذا الحديث .

١ - هذا الحديث يدور بين الطفل ونفسه
ولكنه لا يتم إلا عند وجود الطفل بين مجموعة
من الناس يمكن أن يتواصل معهم ، فهو
يختفى إذا كان الطفل وحيدا ، أو إذا أحطناه
بأطفال صم أولا يتكلمون لغته ، أو إذا طلبنا
منه أن يهمس بهذا الحديث ولا ينطق به جهارا
أو أحطناه بموسيقى صاخبة تجعله غير مسموع
من حوله ، واستنتج من هذا أن هذا الحديث ولو
أنه يبدو كما لو كان موجها من الطفل إلى
نفسه فقط إلا أنه في الحقيقة وسيلة لتواصل
الطفل مع المجتمع ولو أن هذا المجتمع لا يفهمه
لأنه يتميز بارتباطات لغوية عارضة وتكوينات
لغوية مبتسرة .

٢ - يبلغ هذا الحديث قمته من حيث طريقة
تكوينه كلما تقدم الطفل في العمر ولو أنه يقل
في الكمية ، فاستنتج فايجوتسكى من ذلك
أن هذا الحديث ينمو ويتطور ولا يضمحل كما

استنتج بيا جيه فهو بذلك أشبه باختفاء العد على الأصابع طريقة للجمع أو الطرح عند الأطفال عند اكتسابهم القدرة العقلية على الحساب فاختفاء العد لا يعنى اختفاء القدرة الحسابية وكذلك قلة الحديث الذاتى لا يعنى اختفاء التفكير به على أن هذا الاختفاء الظاهرى يبين مرحلة من مراحل النمو فى الطفل عندما يتحول من مرحلة النشاط الجماعى الكلى إلى مرحلة الشعور بالتمييز والتفرد الذاتى وهو نمط من التحول يسود كل الوظائف النفسية العليا ، واستنتج فايجوتسكى أن هذا الحديث المتمركز حول الذات يتحول إلى حديث داخلى يتميز بما يأتى :

- ١ - اعتماد على حس الكلمة وليس معناها المعجمى - ونقصد بحس الكلمة كل الظلال النفسية التى تثار عند ذكر الكلمة حسب خبرة الطفل النفسية وحسب سياق الكلام .
- ٢ - تنضم فيه الكلمات بعضها لبعض مكونة لكلمات مركبة كما يحدث فى اللغة الألمانية محدثة بذلك كلمات أكثر ثراء فى المعنى .
- ٣ - تنساب فيه معانى الكلمات بحيث

تصلح فيه كلمة واحدة عنوانا على نص كامل وبسبب هذه الخصائص الثلاث يصبح هذا الحديث مركزا ويلزم عند تحويله إلى الحديث الخارجى المنطوق استخدام عدد كبير من الكلمات للتعبير عن كل كلمة منه ، ولو أن ذلك يتم على حساب فقد بعض الخصائص الرهيفة للمعانى العميقة المركزة التى يحتويها هذا الحديث الداخلى .

ولهذا تمكن فايجوتسكى من وصف العلاقة بين اللغة والتفكير كما يأتى .

- ١ - تركيز الحديث الداخلى يؤدى إلى تكوين تفكير خالص يمثل الدافع الحقيقى الذى يحرك عمليات التفكير اللفظى .

- ٢ - يتحول هذا الدافع العميق من التفكير الخالص إلى تفكير داخلى ذى الخصائص التى سبق ذكرها .

- ٣ - الكلام الخارجى الموجه للمجتمع ذو الجمل الكاملة المفصلة والمعانى المحددة والسياق المتكامل الذى يجعله مفهوما للآخرين ولو على حساب بعض الظلال التى يشملها حس الكلمة وبهذا تصبح اللغة عاملا أساسيا

لاغنى عنها للتفكير فى أعمق مراتبه ثم مرور
الداخلى إلى أن يصل إلى الآخرين فى شكل
حديث لفظى خارجى .

وقد بين فايجوتسكى أن خصائص اللغة
المستخدمة تملئ على التفكير خصائص معينة
فقد ذهب بعض الدارسين إلى أقصى المدى
فبين « وورف » أن اللغة تملئ على من
يتكلمها أسلوبا فى تصور الزمن وأسلوبا فى
التصرف الاجتماعى وذلك عندما درس اللغات
البداية لبعض مجتمعات الهنود الحمر .

وهذا التأثير الذى تتركه اللغة على الفكر
يؤدى إلى التأثير فى طريقة تفكير الشعوب
ككل ، كما يقول دارسون آخرون . فقد تتسرب
مميزات الفلسفة الألمانية إلى سلوك الشعب
الألمانى على أساس الطبيعة الخاصة لبيئة اللغة
الألمانية كما قالوا إن اللغة التى تتبع فيها
الصفة الموصوف كاللغة العربية والفرنسية
تشير إلى مجتمع تعود على التفكير
الاستنتاجى Deduction بينما نجد اللغة
التي تسبق فيها الصفة الاسم مثل اللغة
الإنجليزية تشير إلى مجتمع يفكر أساسا

بطريقة استقرائية Induction وأن لغة
الهنود الحمر التى لا يميز تركيبها الصرفى
والنحوى بين الحدث والفاعل والأشياء تؤمن
بالقدر تجعل شعوبها أكثر من اللغات التى
تتميز فيها هذه المكونات اللغوية كاللغة
الانجليزية . كما أن المجتمع الذى لا يتوافر فى
لغته مصطلحات محددة خاصة بالعمليات
المنطقية يصبح مجتمعا لا يستطيع أن يقوم
بالتفكير المنطقى أو التفكير العلمى .

وإذا ما بعدنا عن هذه الآراء المتطرفة - ولو
أنها تنبنى أيضا على نتائج تجريبية ، فلا
تستطيع أن تغض الطرف عن أثر الأهمية
القوى للغة الأم فى مساعدة الفرد على
وضوح الفكر وتمكنه من التفكير السلس
المنطوق ، ومن هنا يتضح لنا خطورة هجرة هذه
اللغة فى تكوين الهيكل الفكرى لدارس العلوم
أما اللغات الأجنبية فهى تكفى - إذا ما
أتقنت - للاطلاع على ما يدور فى العالم
وليس لبناء الفكر فى مراحله الأولى .

محمد عماد فضلى

الخبير بالمجمع
١٢٣

دور النحت فى تيسير الأداء العلمى بالعربية

للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن

تعددت الكتابات والبحوث فى شأن وسائل الإفادة من الخصائص المختلفة للغة العربية ، من قابلية واسعة سمحة لتعريب الألفاظ الأجنبية ، إلى عالم واسع من صيغ شتى فى الاشتقاق ، إلى فيض غزير من المترادفات ، وحتى إلى إمكانية لاتهمل من إلصاق الزوائد كالسوابق واللواحق ... إلى آخر ذلك من خصائص . ولقد استحثت القرائح والمهارات بين المشتغلين بالعلم الطبيعى وصناعة المصطلح العلمى فى هذه البحوث للاجتهاد فى ذلك والتوسع فيه من أجل إغناء اللغة العربية العلمية وتيسير وضع المصطلح فيها وتمكينها من الأداء العلمى السلس الواضح . لكن كثيرين من أهل العلم واللغة قد تحفظوا قليلا أو كثيرا فى شأن استعمال النحت فى هذا

الصدد . فمن قائل إنه ليس من طبيعة لغة العرب^(١) ، ومن قائل إنه لا تخرج منه كلمات سهلة واضحة الأداء . ولعل فى هذه العُجالة إنصافا لهذه الخصيصة العربية الأصيلة ، وبياننا لعظم الفائدة التى تُجنى من ورائها فى صناعة المصطلح العلمى .

وإذا كان الاشتقاق ، الذى تكاد تتفرد به العربية وأخواتها من الساميات ، هو إطالة لبنية الكلمات ، فإن النحت هو العملية العكسية للاشتقاق ، إذ هو اختزال واختصار فى الكلمات . وكلا الأمرين من وسائل إغناء متن اللغة وتيسير النسبة والإضافة والتثنية والجمع وغير ذلك فيها . وأول من شرح النحت وقعد قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدى فى كتاب « العين » (القرن الثانى من الهجرة) ،

* ألقى البحث فى الجلسة السابعة للمؤتمر المنعقدة يوم الأحد ٢٢ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

(١) جميل الملايكة ، فى مستلزمات المصطلح العلمى ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٧٤ ، مجلد ٢٤ ، ص ٩ - ١٨ .

وتابع ذلك ابن السكيت فى " إصلاح المنطق " ،
والجوهري فى " الصحاح " ، والثعالبي فى
" فقه اللغة " ، وغيرهم . وقد عدّ بعض
الفقهاء النحت باباً من الاشتقاق وسموه
" الاشتقاق الكُبار " وعلى أية حال فإن أيسر
تعريف للنحت هو : أخذ كلمة من كلمتين
أو أكثر ، أو من حروف كلمتين فأكثر .

وقد نشأ النحت أصلاً عند العرب القدماء
دفعاً للالتباس فى حالة النسبة إلى الأعلام
المؤلفة من مضاف ومضاف إليه مثل عبد شمس ،
وامرئ القيس ، وتيم الله ، وعبد الدار ، حتى
لا يلتبس الأمر إذا نسبوا إلى المضاف وحده أو
المضاف إليه وحده ، فقالوا : عبشمى ومَرَقسى
إلخ . ومن شواهد هذا قول عبد يغوث الحارثى
(جاهلى) :

وتضحك منى شيخّة عبشمية

كأن لم تر قبلى أسيراً يمانياً
وقد قيل إن العرب التزموا فى النحت
بأساليب معينة كدمج صدر الكلمة الأولى فى
صدر الثانية أو فى عجزها ، وكالإكمال بلام
الثانية إذا اعتلت عين الأولى ، ولكن التدقيق

يثبت أنهم لم يلتزموا . فقالوا مثلاً فى النسبة
إلى " دار البطيخ " دريخياً ، وكان على حسب
القاعدة يجب أن يقال دريطى وأن يقال سقزنى
فى النسبة إلى سقزى مازن ولكنهم قالوا :
سقمزى . وقالوا أيضاً " رسعنى " فى النسبة
إلى رأس العين وعبدرى نسبة إلى عبد الدار .
كما أنهم لم يقصروا النحت فى النسبة إلى
المركب الإضافى بل استعملوه أيضاً فى المركب
المزجى فقالوا " حضرمى " ولم يجروه على
قياس . بل إنهم زادوا فى ذلك فاستخرجوا من
المنحوتات أفعالا فقالوا : تبعشم وتقعبس ،
وكان القياس أن يقولوا تعبشم وتعبقس أى
ارتبط بعبد شمس أو بعبد قيس بحلف أو جوار .
وعلى مثل ذلك قال المحدثون " درعمى " نسبة
إلى دار العلوم ، وتدرعم فعلٌ منها .

وهل ثمة ريبة إذن فى أن يقول
الكيميائى " مركب حديدوكى " مقابل
'ferroferic compound' نحتاً من
حديدوز وحديدك ؟ أو أن يقول الجيولوجى
" الغلاف النيحدى للأرض " نسبة إلى النيكل
والحديد ؟ أو يقول " تنيحدث الطبقة " أو

«تنيحده الراسب» ؟ أوصف معدنا ما بأنه " حرماىى (Hydrothermal) ، إشارة إلى نشأته بفعل الحرارة والماء ، أو يعبر عن الحركات البانية للجبال بالمصطلح " بناجبلى " مقابل 'Orogenic' أو الحركات البانية للقارات بالمصطلح " بناقارىة " مقابل 'epeirogenic' ؟ ولقد أطلق الجيولوجيون الإنجليز على الصخر الذى يتكون من الغرين (silt) والحريث (tillite) المصطلح (siltite) ، فماذا لو اصطلح عليه عندنا باللفظة " غريث " أو اللفظة « حرين » وقس على ذلك الكثير . وهذا هو النوع الأول من النحت ويسمى أحيانا النحت المنسوب .

أما النوع الثانى من النحت ، فهو ضرب من الاختصار لأنه يتم بصياغة فعل على وزن " فَعَلَل " أو مصدر على وزن فَعَّلَلَة وذلك من حرفى جملة مؤلفة من كلمتين أو أكثر للدلالة على التحدث بهذه الجملة . وقد سُمى هذا النحت بالنحت الفعللى . فقالوا فى باب ذلك : بِسْمَلِ الرَّجُلِ إِذَا قَالَ " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ، وحوقل إِذَا قَالَ " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ،

وحمدل إِذَا قَالَ : " الحمد لله ، وهلم جرا مثل : سبحل وسحبلى وسمعل ومشأل وحيعل ودمعز وطلبق إلخ ، وأنشد الخليل بن أحمد : أقول لها ودمع العين جارٍ

ألم تحزنك حِيعَلَة المنادى ؟

وقال الآخر :

لقد بَسَمَلْتُ ليلى غداةً لقيتُها "

فيا حبذا ذاك الحبيب المُبَسِّمُ

ويلاحظ فى هذا النوع من النحت أيضا

أنهم لم يلتزموا فيه بقاعدة ، فلم يأخذوا من كل كلمة من المنحوت منه ، ولم يحافظوا ، على حركات الحروف وسكناتها ، ولكنهم التزموا فقط بشئ واحد وهو عدم أخذ الكلمة الأولى بتمامها ، وكان الضابط الوحيد بعد ذلك الذوق فى جرس الكلمة الجديدة .

ومن أمثلة ما جاء به المتأخرون فى هذا

النوع من النحت " الفذلكة " فعند إجمالهم الحساب يقولون " فذلك هو كذا ... " ، وقالوا أيضا " الفنقلة " نحتا من قولهم " فإن قيل كذا " وهلم جرا . فلماذا لا يقاس على ذلك فى العلم الطبيعى قولنا " فَعَصَبَ العِينَة " ؟ أى

قام بتحليل الفضالة المستعصية على الذوبان فيها . وعليه يمكن أن يرمز لهذه العمليات في الجداول بكلمة " الفعصبة " . وكذلك في " تَحْمَكْ تَحْمَكَةُ " من حَلَلُهُ تحليلًا ميكانيكيا ، و " تَحْجَمَ تَحْجَمَةُ " من حَلَلِهِ تحليلًا حجميا . وأليسَ " الرُّمَظف " مصطلحاً مناسباً للصخر المكون من الرمل والطفل ؟ وإذا قام الجيولوجي بتقدير نسبة المكوّنين الأصليين فيه فهو يُرْمِظُ ويحدد النسبة الرمطفية .

والنوع الثالث من النحت يعزى أساسا إلى ابن فارس الذي يفسر به أصل كل ما زاد على ثلاثة أحرف على أنه منحوت : وقد ذكر في كتابه " مقاييس اللغة " نحو مئتين من الأمثلة زاد عليها المتأخرون مجموعة كبيرة ومنها على سبيل المثال : برقش من برش ورقش ، وجلمد من الجلد والجمد ، ونقرش من النقر والقرش ، وهمرج من هرج ومرج ، ودحرج من درج وحرج ، وصلدم من الصلد والصدمة ، وجحفل من جحف وحفل ، وعلى أوزان أخرى مثل فرهد وجرهم وضبطر . إلخ .

وقد نقد ابن فارس بعضُ المحدثين ومنهم المرحوم الدكتور على عبد الواحد وافى ولجنة من مجمع القاهرة كان يرأسها المرحوم الشيخ حمروش واتهموه بالتعسف والشطط ، وأنصفه وأعجب به آخرون ومنهم الدكتور سليم النعيمي^(١) من مجمع بغداد ، وقال في نظريته إنها محاولة جادة وناجحة في تفسير نشوء بعض الرباعي قد يقوم الكثير منها على الظن ولكنها جديرة بالنظر والدراسة . والرأى عند كاتب هذا البحث أن دراسة هذا النوع من النحت قد تنير الطريق لكثير من المشتغلين بالعلوم للاهتمام إلى مصطلحات مركبة تُنحت من أصول بسيطة تسهل النسبة والإضافة إليها وتعين على دقة التعبير مع الإيجاز . ويمكن تسمية هذا النوع من النحت بالنحت التأصيلي . والنوع الرابع من النحت هو تأليف كلمة من أوائل حروف كلمتين مستقلتين أو كلمات مستقلة لتفيد معنى جديدا مركباً في صورة ما من معاني هاتين الكلمتين أو تلك الكلمات . وقد سماه بعضهم النحت الأوائل ، وهو ما

(١) سليم النعيمي ، النحت ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٣ ، مجلد ٢٣ ، ص ٨٩ - ٩٩ .

يسمى فى اللغات الأوروبية (acronymy) .
وقد عدَّ بعض الباحثين هذا من أبواب النحت ،
وعده بعضهم نوعاً من الاختصار أو الاختراع .
وقد شاع هذا التصرف حديثاً فى اللغات
الأوروبية ، وأمثلته :

يونسكو Unesco ، ويونو Uno ،
وناتو Nato ، ناسا Nasa وشيب
Shape وسالت Salt ، وستارت Start ،
وفيديو Vidio ، ورادار Radar ، وليزر
Laeser ودنا Dna ، ورنـا Rna ، ويظنه
بعض الناس مميزاً لتلك اللغات ولايناسب اللغة
العربية . ولكننى أرى أن هذه اللغات بزتنا
فقط فى استعماله ، فهو لايعتمد على
خصيصة معينة فيها ، بل لا أبالغ إذا قلت إننا
نحن رؤاؤه ولو أننا لم نتقدم فيه ، فعندنا
نشأت من قديم كلمة " إلخ " (أى إلى آخره)
و " نا " بمعنى (حدثنا) ، و " أه " بمعنى
(انتهى كلامه أو انتهى الكلام) ... إلخ .
وقد ذهب الخليل بن أحمد فى تأصيل هذا

النوع من النحت إلى أن كثيراً من الكلمات
العربية نشأ نشأة مشابهة : فلن منتزعة من
" لا " و " أن " وتضمنت بعد تركيبها معنى لم
يكن لأصليها مجتمعين .

ويقول الفراء فى " هَلْم " إنها من " هل "
(يعنى هل لك فى ؟) و " أم " بمعنى (اقصد
أو تعال) ، وفى " لكن " إنها من " لا " وك "
الخطاب و " إن " . وأخرج الخليل والفراء أصل
" ليس " من " لا " و " أيس " ، واللفظ " أيس "
هو فعل الكينونة فى كثير من اللغات السامية
وقد انقرض فى العربية .

وقد ذاع الاختصار والاختراع بالنحت فى
اللغات الأوروبية (acronymy) واستفاد
منه العلميون أيما فائدة . وقد بلغت ألفاظه
كمّاً حداً ببعض اللغويين هناك إلى تأليف
معاجم متخصصة فيه^(١) .

وسأضرب أمثلة من المصطلحات استحدثتها
فى علم الجيولوجيا مبنية على النحت الأوائلى ما
أظن إلا أن لها نظائر فى العلوم الأخرى ، ومنها :

(١) Robert, C. et al , Ed. , "Acronyms and Initialism Dictionary", Book Tower, De-
troit, Michigan, 1965.

"gas oil ratio" فنحتُ لها بالعربية كلمة "نَزْع" من شبه الجملة "نسبة الزيت إلى الغاز" وهي كلمة واحدة تسهل النسبة والإضافة إليها ويناسب وضعها في الجداول.

وبعد ، فإن ما دفعني إلى هذا البحث هو ما عجبت له من إعراضنا عن استغلال ميزة أصيلة في لغتنا العربية تعين على تيسير الأداء العلمى بها فى الوقت الذى أرى فيه اللغات المتطورة فى أوربا لا تجد غضاضة فى أن تستغل ظواهر ليست من طبيعتها لسد الحاجة العلمية ولتحقيق المثالية فى المصطلح . وأهم عناصر هذه المثالية : الاختصار ، ودقة التعبير ، وإمكان النسبة والإضافة والجمع .. إلخ . فالإنجليزية مثلا لجأت إلى النحت ، وهو ليس من طبيعتها ، لا ستحدث ألفاظ جديدة دعت إليها الحياة العصرية ، فأهلها قد استحدثوا كلمة "brunch" منحوتة من كلمتى 'breakfast' و 'Lunch' للتعبير عن وجبة بين الإفطار والغداء ، واستحدثوا كلمة 'amerindian' منحوتة من كلمتى

- سيال مقابل Sial ، وهو الطبقة العليا من وشاح الأرض ، والكلمة منحوتة من طبيعة التركيب الغالب على هذه الطبقة وهو السليكون Silicon والألومنيوم -Alu minium فأخذوا Si من الأول و Al من الثانى وقالوا the sial ، وقلنا معهم طبقة السيال .

- سيما مقابل Sima ، وهى الطبقة التى تحت السابقة ونُحت الاسم من تركيبها الغالب أيضا أى من السليكون Si والماغسيوم Ma

- نَيَّحْد مقابل Nife وهى الطبقة التى تحت السابقة ونُحتت فى الإنجليزية والفرنسية أوائلها من Ni رمز Nickel ومن Fe رمز الحديد ، وفى العربية من "ني" أول كلمة نيكل ومن "حد" أول كلمة حديد .

- ومنذ مدة قصيرة قرأت فى بحث عن النفط كلمة 'Gor' بالإنجليزية واطلعت على القاموس فلم أجدها ، ولكن ما لبثت ، مع القراءة فى البحث أن اكتشفت أنها نحت أوائل من ثلاث كلمات فى شبه جملة هى

'american' و 'indian' . وكذلك استحدثوا كلمة 'contrail' من كلمتى 'condensation trail' . وعندهم كلمة منحوتة قديمة جدا دخلت معاجمهم من زمن طويل حتى ليظن أكثرهم ، كما نظن نحن ، أنها من متن لغتهم المأثور ، وهى كلمة 'smog' ، والحقيقة أنها منحوتة من كلمتى "smoke" أى دخان و "fog" أى ضباب ، وهى تحتاج إلى كلمة عربية تناظرها . وقد صادفت أخيرا كلمة جديدة جدا ظهرت من بضع سنين فقط ، وهى كلمة 'chunnel' منحوتة من كلمتى 'channel' و 'tunnel' ؛ وهى اسم يطلق على النفق الذى تم حفره تحت القنال الإنجليزى الذى يربط بين فرنسا وإنجلترا . وقد لا يكون من نافلة القول أن أنبه إلى أن ما أوردت من أمثلة كلها نشأت بالبحث فعلا ، وعلى الطريقة العربية ، ولا يجوز أن نخلط بين هذا وبين ما هودارج فى الإنجليزية مما يسمى بالتركيب حيث يُحتفظ فى الكلمة

المستحدثة بالكلمتين الأصليتين كاملتين كما فى 'earthquake' و 'businessman' و 'airraid' وغيرها . وأختتم البحث فى النحت باقتباس كلام للدكتور سليم النعيمى (١) يذكرنى بجرأة الأئمة القدماء فى تطوير اللغة مع الحرص على سلامتها ، إذ يقول : " والذى يهمنا من هذا الموضوع هو أن نبیح اللجوء إلى النحت فى وضع مصطلحات العلوم حين لا يمكن أن يدل على المصطلح إلا كلمتان أو أكثر تخفيفا بذلك على المتعلم ، فإن كلمة واحدة أيسر فى الحفظ من كلمتين أو عدة كلمات على ألا يؤدى بنا ذلك إلى الإغراب والتوعر " . وقد قرأت لحجة التعريب الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة^(٢) ما أعدّه قانونا فى منهجية صياغة المصطلحات العلمية ، وما يشجعنى على المضى فى الدعوة إلى الاستفادة بأقصى قدر ممكن من سبل النحت المختلفة لإغناء اللغة العربية العلمية وتمكينها من الأداء العلمى السلس . يقول

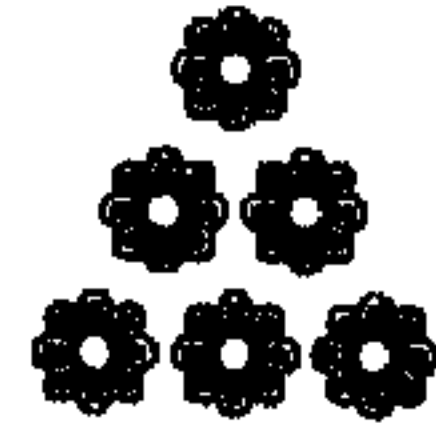
(١) سليم النعيمى ، النحت ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٧٣ ، مجلد ٢٣ ص ٨٩ - ٩٩ .
(٢) عبد الكريم خليفة ، اللغة العربية والتعريب فى العصر الحديث ، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردنى ، عمان ١٩٨٧ .

الدكتور خليفة : " إنه على الرغم من اختلاف آراء المعاصرين فى التوسع باستعمال النحت فى اللغة الحديثة إلا أنهم يجمعون على أن النحت السائغ يزيد العربية الحديثة غنى " ، وهو يستنكر قول البعض بعدم الحاجة إلى النحت بحجة أن علماء العصر العباسى لم ينحتوا كلمات علمية ، أو لأنه ممارسة نادرة فى العربية . ويقول : " إننا فى بعض الأحوال نعبر عن بعض المعانى العلمية بتراكيب متنوعة ، فإذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا أن نستمر فى استعمالها على حالها ، أما إذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم أن ننحتّها من أجل تسهيل استعمالها وانتشارها ... ولقد برهن بعض

الباحثين المعاصرين على جعل النحت قياسيا لكى يستعمل فى مصطلحات العلوم ... ولكن مع ذلك كله مازال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد فى قبول قياسيته ، وماز الوا يرون الوقوف به عند حد السماع . ونحن لا نرى فى هذا التطبيق إلا إعاقة لمسيرة اللغة فى الوقت الذى تبحث فيه اللغة عن جميع إمكاناتها وخصائصها لكى تستوعب طوفان الحضارة الحديثة ... وربما كان من المفيد أن نفتح باب القياس فى النحت على مصراعيه ، على أن يراعى فيه أوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تأليفها " ، ا هـ .

محمد يوسف حسن

عضو المجمع



تأليف المتون الدراسية مُبرمجةً بالعربية

للأستاذ الدكتور كمال دسوقي

- ١ - حركة تعريب المصطلحات تُواكب مهمة إصدار المؤلفات :
- (١٩٨٤) = ٤٥٠٠ مصطلحاً (عدا الجزء الثانى ١٩٨٦) ، والفيزياء النووية (١٩٨٤) = ١٢٠٠ مصطلحاً ... وهكذا فى علوم الرياضيات ، والهندسة ، والهيدرولوجيا ، والنفط والجيولوجيا ، والجغرافيا ، والقانون ، والاقتصاد ، والتاريخ ، والفلسفة والعلوم الاجتماعية والتربية وعلم النفس ، والمعالجة الالكترونية للمعلومات ، وألفاظ الحضارة والفنون ... ثم - فى محاضراته القيمة " حول توحيد المصطلحات العلمية " بمؤتمر المجمع التاسع والخمسين (١٢ - ٢٦ نيسان /ابريل ١٩٩٣) أورد شيخ المعاجمة أحمد شفيق الخطيب ثبوتاً بالمعاجم الموحدة فى مؤتمرات التعريب منذ ١٩٧٣ حتى ١٩٨٨ يصل بعدد المصطلحات الموحدة إلى ٤٧٣ ، ١٠٧ فى سبعة وثلاثين معجماً فى مختلف العلوم
- يُستشف من قراءة عنوان هذا المقال بلفظي الصدر والعجز (التأليف بالعربية) أننا نشير لضرورة تجاوز أهداف مجامع اللغة العربية - خصوصاً مجمع القاهرة الأم - غايات تعريب المصطلحات ، ونشر قوائمها ، واستكمال معاجم تعريف المصطلحات الخاصة بكل علم من العلوم ... التى قدرها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف حتى ١٩٨٤ بستين ألف مصطلحاً فى علوم : الطب (بجزئيه اللذين ظهر ثانيهما سنة ١٩٩٠) بثمانية آلاف مصطلحاً ، والكيمياء والصيدلة (ج١) بخمسة آلاف ، والأحياء والزراعة ج١ (١٩٨٤) = خمسة آلاف (عدا الجزء الثانى الذى ظهر سنة ١٩٨٨) ، والفيزياء الحديثة

* ألقى البحث فى الجلسة السابعة للمؤتمر المنعقدة مساء يوم الأحد ٢٢ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ .

والفنون الأساسية الإنسانية والكونية ... كما أوردتها مجلة اللسان العربى بعددها الرابع والثلاثين - هى معاجم : الحيوان ، الفيزياء ، الكيمياء ، النبات ، الرياضيات ، الجيولوجيا ، الجغرافيا ، الفلك ، التاريخ ، الفلسفة والمنطق وعلم النفس ، الصحة وجسم الإنسان ، الرياضيات البحتة والتطبيقية ، الكهرباء ، هندسة البناء ، المحاسبة ، التجارة ، النجارة ، البترول ، الحاسبات ، الفيزياء النووية ، التربة ، الاجتماع والانثروبولوجيا ، اللغة واللسانيات ، الألعاب الرياضية ، الاقتصاد ، الموسيقى ، الآثار ، القانون ، السكك الحديدية ... سواء ماصدر منها بأعداد قليلة ومالم يطبع مُستَقِلاً ويصدر الآن مدمجاً فى مجلدات أو معاجم أخرى أو تكفل بطبعه منظمة عربية أو اتحاد أو مركز عربى ..

إلى هذا الحد ازدادت توسعاً وتفصيلاً - مابين تقريرى شوقى ضيف (١٩٨٤) وشفيق الخطيب (١٩٩٣) - معاجم مصطلحات فروع وموضوعات مباحث العلوم والفنون التخصصية الدقيقة - بما لزم معه حصر هذه المعاجم كلها فى معجم خاص للتعريف بها . ففى أحدث

إصدارات مكتبة لبنان (بيروت ١٩٩٣) رصد الأستاذ وجدى رزق غالى فى "معجم المعجمات العربية " - على سبيل الحصر ، مع الاختصار على المطبوع دون المخطوط ، أو ما نشر بالدوريات أو ألحق بنهايات الكتب مؤلفة أو مترجمة ... جميع المعاجم العربية - أى التى لغتها كلها العربية ، أو التى لغتها أجنبية وتعتبر اللغة العربية جزءاً من تغطيتها - سواء العام منها (الذى يتناول ألفاظ لغة وشرحها باللغة نفسها) والمتخصص (أحادى اللغة أو ثنائى أو ثلاثى أو متعدد اللغات) الذى يتناول مفردات مصطلحات علم أو مجال معرفة متخصص فيشرحها بلغة أخرى أو أكثر - وبصرف النظر عن تاريخ أو مكان النشر ابتداء من أول معجم عربى لبدرو دى ألكالا المطبوع عام ١٥٠٥ (إسباني عربى مع مقدمة فى اللهجة العربية العامة بغرناطة ، ٢٢ ألف كلمة مرتبة هجائياً لكل حرف ثلاث مجموعات الأفعال والأسماء وأسماء الأفعال داخل كل مجموعة) ... حتى آخر ما طُبِع عام ١٩٩٢ وأوائل ١٩٩٣ قبل أن يمثل معجم

المعاجم هذا للطبع ؛ فأحصى بالمعجمات المتخصصة بالقسم الثالث من مُعْجَمِه هو ٨١٩ معجما (من رقم ٦٤٥ حتى ١٤٦٣ ، ص ص ١٢٠ - ٢٢٦) فى علوم وفنون : الآثار ، الاتصالات السلوكية واللاسلكية ، الاثنولوجيا ، (علم) الاجتماع ، الاحصاء ، الأحياء ، الاخلاق ، إدارة الأعمال .. الأزياء ، الإسعاف ، الأسماك والسماكة ، الأطعمة ، الإعلام ، الأفران ... الاقتصاد ، الآلات ، الألعاب ، الالكترونيات ، ... البلاستيك ، البناء ... التبريد والتكييف ... التغذية ، التكنولوجيا ... الجمارك ، الجيولوجيا ، الحاسب الآلى ، الحج والعمرة ، الحديد والصلب ، الحشرات ، الحيوان ، الخدمة الاجتماعية ... الراديو ... السفن ... السيارات ... السينما ، الشرطة ، الشهر العقاري ، الطاقة ، الطباعة ، الطرق ، الطيران ... العسكرية ، علم النفس ، العمارة العمل والعمال ، غريب القرآن ... الفضاء ، الفقه ، الفلسفة ، الفلك ، الفهرسة ... الفولكلور.. القرآن ، الكمبيوتر والمعلوماتية..

اللحام ، اللدائن ، المرأة ، المرافق العامة ، المركبات ، المساحة ، المسرح ، المسيحية ، المصارف والصيرفة ، المكتبات والوثائق ، الملابس ، المواصفات القياسية ، المؤتمرات ... المياهيئات ... النسيج ، النفط ، النقل البحرى ، الهيدرولوجيا .. الوسائل السمعية والبصرية ... مائة وخمسة وأربعين تخصصاً مُعْجَمِيّاً دقيقاً موزعة على مائة وسبع صفحات بِمَدَى من معجم واحد إلى بضعة عشر معجماً للتخصص الواحد ، ويتعريف بالمؤلف أو المؤلفين أو الهيئة القائمة بالتأليف ، ويمكن وسنة النشر ، وعدد الصفحات ، والاسم باللغة الأجنبية للغلاف ، وإجمالى عدد المصطلحات وطريقة عرض المحتوى وما يميز به على سائر القواميس من نوعه ... ومن مجرد ذكر العنوان إلى شرح ذلك كله فى عدة أسطر .

ونتساءل بعد كل هذا الحشد الهائل من معاجم مفردات ألفاظ وتعريف مصطلحات العلوم والفنون ؛ ما الذى يُعوز المشتغلين بالترجمة فالتأليف للتعليم والدرس فى المائة والخمسة والأربعين تخصصاً دقيقاً (غير ما يستجد من

معاجم) ، وقد تم تطويع وشحذ أداة العمل
فى نقل العلم الغربى إلى الدارسين العرب ،
وتحقق منذ زمن مبكر وجود النص الدراسى
المعتمد بكافة مستويات تدريس المادة بسنوات
المعهد أو الكلية الجامعية ؟ لاشئ فيما نرى
غير الشعور بالحاجة الملحة وفرض ضرورات
الأمر الواقع ، وتقديم الأهم على المهم من
أغراض إنشاء المجامع . فالمجمع العلمى
العربى السورى الذى انبثق خلال عام واحد عن
لجنة للتأليف والترجمة والنشر (١٩١٨ -
١٩١٩) قد اهتم بتقديم غرض " إيجاد
الكتاب العلمى المؤلف أو المترجم بلغة وإخراج
جيد يقطع الطريق على التردد والتشكك فى
تعريب العلوم لغرض التدريس الجامعى " .
وفى هذا : " اختارت وزارة التعليم العالى
بدمشق عدداً من المؤلفات العلمية الموثوقة
لترجمتها بالتعاون مع الجامعيين ، وأصدرتها
(ملحقاً بكل منها قوائم بالمصطلحات العلمية
المستعملة فى الترجمة) تسعة عشر كتاباً :
فى الكيمياء العامة (جزئين) والكيمياء
الفيزيائية (جزئين) والفيزياء النظرية (جزئين)

والرياضيات العالية (خمسة أجزاء ، ١٣
قسماً) ، الاتجاهات الجديدة فى تدريس
الكيمياء - منشورات اليونسكو (فى جزئين) ،
دليل مركب التدفئة (عن الفرنسية) ، دليل
مهندس التدفئة (عن الألمانية) ، تصميم
الجسور لطرق السيارات (عن الروسية) ، علم
الطفيليات للأطباء البيطريين ، مقاومة المواد ،
المدخل فى انتقال الحرارة والمادة ، تطبيقات
مطيافية الامتصاص على المركبات العضوية ،
محاضرات فاينمان فى الفيزياء - فى ثلاثة
أقسام : (الميكانيك ، الضوء والإشعاع ،
الاهتزازات ، الثيرموديناميك) ؛ التعويض
الكامل فى طب الأسنان ، الثيرموديناميك
الهندسية وانتقال العمل والحرارة (عن
الانجليزية فى قسمين) ، دروس فى الفيزياء
- الثيرموديناميك والحرارة (عن الفرنسية فى
قسمين أيضاً) ، الرياضيات العامة (فى
قسمين : الجبر والتحليل) ، الطرائق العددية
للعلميين والمهندسين ، أصول الهيدروليك
الهندسى ، ... هذا فى مجال الكتب الدراسية
العلمية وحدها - بالإضافة إلى ترجمات كتب

الدراسات الإنسانية التي لا تدخل تحت حصر .
ويتأكد هذا الاتجاه الدمشقي الذي يرمى إلى
مواكبة تعريب مصطلحات العلوم في ثانيا تراجع
النصوص الدراسية عن الانجليزية أو الفرنسية
أو الألمانية أو الروسية لحركة تعريب التعليم
الجامعي ، دون اقتصار على قوائم المصطلحات
أو انتظار الفراغ من إعداد معاجم تعريب
أو تعريف المفاهيم الكلية للماصدقات ...
يتأكد هذا الاتجاه الدمشقي إلى العناية بالتأليف
المترجم أول الأمر للكتب العلمية (معتمدة في
جامعات البلاد التي ينقل عنها) فيما أصدره
المجلس الأعلى للعلوم في دمشق أيضاً - مثل
المدخل لعلم الجيولوجيا ، الصخور الرسوبية ،
الفيزياء العامة التجريبية (عن الفرنسية في
جزأين : الكهربائية الراكدة ، التيارات المتواصلة
المغناطيسية) ، الفيزياء العامة التجريبية :
(عن الفرنسية أيضا في جزأين : التيارات
المتناوية ، الامواج الهرتزية) ، الفيزياء العامة
التجريبية : الأخيلة الضوئية (في جزأين) ؛
الفيزياء العامة التجريبية : الضوء (في جزأين) -
وكلها مذيبة أيضا بقوائم المصطلحات المستعملة

في الترجمة (د. شكري فيصل : المؤتمرات
والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات
العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات
المصطلح العلمي والترجمة والتأليف ، مجلة اتحاد
الجامعات العربية ، العدد الثامن ، سبتمبر/ أيلول
١٩٨٠ ص ٥٤ - ٥٥ ، ٦٥ - ٦٦) .

كذلك كان الشأن في مجمع اللغة العربية
الأردني بعد قيامه مجددا عام ١٩٧٦ برئاسة
الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة . " ففي نطاق
حملة تعريب التعليم الجامعي العلمي ، وإعمالا
للفقرة التاسعة من مهام مجلس المجمع التي تؤكد
عل سياسته الرامية إلى تعريب التعليم العلمي
الجامعي ودعم الجهود في هذا المجال عن طريق
الترجمة أو التأليف ؛ أصدر مجمع اللغة العربية
الأردني ما بين ١٩٧٩ ، ١٩٨٧ ثمانية عشر
(منشوراً) قام بترجمتها أو مراجعتها أو الإشراف
على الترجمة أعضاء المجمع الأجلاء على النحو
التالي : في حساب التفاضل والتكامل والهندسة
التحليلية . جزأين) ، البيولوجيا (في جزأين) ،
الجبر المجرد بطريقة التعلم الذاتي النشط ،
الجيولوجيا العامة ، الكيمياء العامة ، الكيمياء

الحيوية للخلية وعلم وظائفها ، الكيمياء غير العضوية (فى جزأين) ، الفيزياء الكلاسيكية والحديثة (فى ثلاثة مجلدات) ، مبادئ المعادلات التفاضلية وتطبيقاتها ، مبادئ التحليل الرياضى ، مقدمة للتكوين الجنينى ، مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة ، الكيمياء التحليلية (التقرير السنوى الخامس عشر حول منجزات مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٩١ ص ص ٤١ - ٤٣) .

وكان المجمع الاردنى قد أفرز فى وحدة حاسوبه ٢٩٠٢٦٤ ألف مصطلح مما أقرته المؤسسات العلمية والتقنية على مستوى الوطن العربى منذ الثمانينيات فى خمسة عشر كتابا هى معاجم الفيزياء الحديثة (٢٣٨٦ مصطلحا) والكيمياء والصيدلة لمجمع اللغة بالقاهرة ١٩٨٣ (٢٩٤٣ مصطلحا) ، الموحد لمصطلحات النفط ، مكتب تنسيق التعريب ١٩٨١ فى ثلاثة أجزاء (٣٩٤٣ ، ٤٠٥١ ، ٢٠١٦ مصطلحا بكل منها على الترتيب) ، معجم الجيولوجيا لمجمع القاهرة (ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ٤٣٦٥ مصطلحا) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة بالقاهرة (الطبى منها فى علوم الصحة والأمراض والجراحة والباطنى

والأسنان وأمراض النساء والتوليد والبكتريا والطب الشرعى والطب والتشريح والرمد ...) ، ألفاظ الحضارة الحديثة (للثياب وفنون التصوير والرقص والموسيقى والسينما ...) ، فمصطلحات التمريض ، وقص الشعر والتجميل ، ومصطلحات الحاسوب والطاقة النووية للمركز العربى للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (اكتاب ١٩٩١ فى ٣٨٥ مصطلحا) ، والصناعة والخراطة وعلم البيئة / تلوث الهواء (١٩٧٩ ، ٥٢٤ مصطلحا) .

٢ - التعريب بالترجمة توطئة للتأليف والتمتين فالإضافة والابتكار :

وسواء الاستغراق فى إعداد قوائم فمعاجم مصطلحات تعريب العلم الغربى ليستعين بها المترجمون والمؤلفون ، أم المبادرة بترجمة المراجع الاساسية الأجنبية فى كل علم من العلوم مما يدرس بالكليات الجامعية والمعاهد العليا بالخارج إلى العربية مع إلحاق قوائم المصطلحات بنهاية المرجع أو إيراد المفردات الاجنبية فى سياق النص العربى ؛ أو حتى بدون هذا الإلحاق أو الإيراد ؛ فمن الواضح أن الترجمة كتوطئة للتأليف من أجل التدريس كانت الطريقة المثلى لسد حاجة الدارسين العرب العاجلة

إلى المرجع العلمى المعتبر فى الخارج كمستوى
تحصيل معترف به - مما له مزية البتّ نهائيا فى
حسم قضية التعريب عندنا ؛ وعندهم وهم يعترفون
بالشهادة الجامعية مؤهلا للابتعاث للدراسات العليا
مادام المبعوث لا تنقصه إجادة القراءة والكتابة
بلغتهم الأجنبية التى كثيراً ما تفوق على أبنائهم هم
فى استيعاب مراجعها وكتابة أطروحته بها .
وواضح أيضا أن تناول العلم العربى مترجما إلى
العربية كان يتسم بالحماسة والنخوة القومية فى بلاد
الاستعمار الفرنسى العربية شرقها وغربها أكثر
منه فى بلاد الاستعمار البريطانى لما حاول المستعمر
الفرنسى فرض طابعه الثقافى على حياة المغاربة
قبل المشاركة وقد أدمجهم بالقوة فى الفرنكفونية
وقطع صلة المتعلمين منهم بماضى وحاضر بلادهم
الثقافى والتعليمى - وكأنه لن يغادر يوما البلاد
التى استعمرها مهما انتهى عصر الاستعمار
واستقلت وتحررت الشعوب ، أوقرت سوريا فى منتصف
الأربعينيات والجزائر منتصف الستينيات إيقاف التعامل
باللغة الفرنسية تعجيلا لحركة التعريب والتسيير الذاتى فى
التخاطب والتراسل بالدواوين والمكاتب الحكومية فى البيت
والمدرسة والجامعة والأماكن العامة .

بهذا عمدت الأقطار التى بادرت بنقل العلم
الغربى إلى العربية إلى " أخذ الطريق المختصر
إلى استنهاض الأمة للقيام بدورها فى تداول
الحضارات » . فإن تكن البداية الصحيحة
للحضارة العربية الاسلامية فى الماضى هى نقل
تراث العالم القديم عن الاغريق والرومان
والفرس والسريان ... لطب بقراط وجالينوس ،
ومنطق أرسطو وفلسفة سقراط وافلاطون ،
ورياضيات اقليدس وفيثاغورس ، وفلك
بطليموس ، وطبيعيات أرشميدس ... تمهيدا
للإضافة والابتكار فى الجيومطريقا
والاسترونوميا والميتافيزيقا والارثما طيقا
والماتيماتيقا ... للتدريس فى المساجد الجامعة
بشتى أنحاء الإمبراطورية الإسلامية : المنصور
فى بغداد ، والأموى فى دمشق ، والأزهر
بالقاهرة ، والقيروان بتونس ، والقرويين
بالمغرب ، وقرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير
فى صنعاء ... ثم كانت البداية الصحيحة
للنهضة الأوربية الحديثة سلوك نفس طريق نقل
التراث العربى العلمى إلى اللاتينية ومن هذه
إلى اللغات الأوربية التى تفرعت عنها فى

الدول القومية الأوربية والانجلو سكسونية ، واعتماد مؤلفات العرب العلمية والفلسفية للتدريس بالجامعات الاوربية فى ترجمتها اللاتينية طوال قرون قبل التأليف على غرارها بإضافات مبتكرة وتجارب حديثة يسرّها تقدم طرق وأدوات وأجهزة البحث العلمى ووسائل طباعة ونشر المؤلفات والبحوث فى كل علم وفن ... " فليكن سلوك نفس الطريق هو سيلنا لاسترداد نهوضنا برسالتنا الحضارية التى يفرضها علينا دورنا فى عالم اليوم الذى نعيش فيه كأمة عربية موحدة لاتنقصها الثروات المادية والبشرية التى يخطب ودها ويتقرب إليها العالم الصناعى الغربى لدعم اقتصادياته وتبادل علومه وتكنولوجياه التى شارك فى النهوض بها علماء عرب هنا وهناك ويقود سياسة التعاون والاستفادة بها فى المحافل الدولية والاقليمية ساسة وزعماء العرب (عبد الحليم منتصر ، المؤتمرات والندوات التى عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعى فى مجالات المصطلح العلمى والترجمة والتأليف ،

مجلة اتحاد الجامعات العربية عدد خاص ١٩٨٠ ص ص ١٩ - ٣٩) . وإذا كانت المبادرات المبكرة بترجمة أمهات الكتب العلمية العالمية فى شتى فروع العلم والتكنولوجيا إلى العربية بدافع تخليص نظم التعليم من لغة المستعمر وتحرير العقل العربى من تغريب فكره وثقافته ... قد جاءت بجهود فردية مخلصة لأساتذة أجلاء جمعوا بين التبحر فى كنوز الفصحى وإجادة اللغة الاجنبية التى بها تعلموا وعنها ينقلون - خصوصا الفرنسية فى المغرب العربى ولبنان وسوريا ، والانجليزية فى الأردن والعراق ومصر ؛ فإن مواكبة ترجمات هذه النصوص الدراسية لجهود لجان التأليف والترجمة والنشر بالمجامع اللغوية العلمية (والمنظمات والهيئات التى سبقت الاشارة إليها) لتنسيق وتوحيد مصطلحات هذه العلوم وما تمخضت عنه لقاءاتها وندواتها ومؤتمراتها من ترسيخ لقواعد التعريب وتيسير لوسائل التقدم العلمى آخر الأمر ... كفيلة بالتغلب على مشكلات تضارب الاصطلاح الراجعة فى كثير من الأحيان إلى طبيعة

اللغتين الإنجليزية والفرنسية حين نعرب لفظا مختلف المعنى وإن اتحد المبنى بنفس اللفظ العربى فى الحالين بما لا يوافق سياق النص المترجم ، أو لشيوع لفظ عربى دارج فى هذا القطر العربى أو ذاك ترجمة حرفية للفظ أجنبى سائد ويفضل الأخذ به لسهولة الفهم ، أو للحماسة بدلا من ذلك لإزالة كل أثر للفظ الأجنبى المعرب مادام يمكن التنقيب فى التراث . عن بديل أو يمكن اشتقاق أو نحت لفظ عربى أصيل ... مما أفرز تباينات التعريب بين مختلف الأقطار العربية ولا يزال . إن تجاوز الاجتهادات الفردية المخلصة الأمينة فى التأليف والتمتين بناء على هذه الترجمات بمعرفة اللجان الدائمة المتخصصة فى التأليف بمختلف العلوم والفنون باللغة العربية التى طالما نودى بالإكثار منها بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (عبد العزيز بن عبد الله : اللغة العربية وتحديات العصر ، اللسان العربى ، مجلد ١٣ ، ١٩٧٦ ص ١٣ - ١٤) من شأنه أن يزيل أية فروق ترجمة لغوية أو إقليمية محلية أو اجتهادية شخصية كى

تتوحد نصوص المؤلفات العلمية كما توحدت المصطلحات . وفى اعتقادنا أن اللجان العلمية التى تحملت عبء صوغ المصطلحات واعداد قوائمها واصدار معاجمها وتبادل عرضها للموافقة عليها والالتزام بالأخذ بها فى سائر المجامع اللغوية العلمية واتحادها ... هى الأقدر على تأليف الكتاب العلمى الأساسى المتين الذى يعتمد عليه اتحاد المجامع العربية مقررأ دراسياً لكل مادة مما يدرس فى جامعاتنا . وطبيعى ، فإن نقل العلم الغربى مترجماً إلى العربية ليس إلا بداية مؤقتة ونقطة انطلاق إلى التأليف فى موضوعات العلم ومادته الدراسية . فالاستاذ من كثرة ما يحاضر فى هذه الموضوعات سنة بعد أخرى يلزمه أحيانا التلخيص والإيجاز بالحذف والإضافة ، والشرح والتفسير والنقد والتعليق ... بما يمكنه بعد بضع سنوات من أن (يؤلف) مما توفر له من اطلاعات على مراجع أخرى فى الموضوع (عربية وأجنبية) نصاً دراسياً أسلس عبارة وأفصح فكراً وأشمل عرضاً لمختلف وجهات النظر إلى العديد من الآراء والمذاهب والنظريات ... ليصبح آخر الأمر ماتنا (أى

صاحب متن) وليس مجرد (شارح) للنص المترجم - أى يستطيع قمتين أصول العلم تراكيب ومفردات ، ويُقسم صلب المتن الدراسى بما يكسوه من لحم وعصب فلا تلحقه أو الدارسين فى استيعابه مشقة ولا كلفة . ومتى ألف الدارسون استظهار المتن الدراسى المتين هذا - أى القوى الشديد بلاعناء أو تكلف ، فما أيسر ما يستطيعون على السجية الاضافة إليه أو التعديل فيه بما يؤيده أو يخالفه فى قراءات متون أخرى وحواشى وشروح تلك المتون التى يستهوبهم التنقيب عنها فى مظانها ليدونوا ما يثبت اطلاعهم عليها وتكوين آرائهم الخاصة فيما يتصل بصحتها أو بطلانها ... وفى كلمة واحدة يتسنى لهم الانتقال من التلقى والتحصيل إلى إعمال الفكر والتمحيص والبحث والاستقصاء وصولاً إلى الحقيقة واليقين . فكَذلك كانت الحال فى حلقات الدرس بالأزهر الشريف والمساجد الجامعة الأخرى فى كل أرجاء العالم العربى الناهض - حيث يعد طالب العلم نفسه (مثل الاستاذ) لمناقشة شُروح وحواشى المتن فى (التعيين - as signment) الذى اتفق على تحضيره معاً للقاء القادم استكمالاً لحلقة النقاش السابقة ،

وكانت هذه الطريقة الأزهرية الرائدة فى تدارس علوم اللغة والفقه والتوحيد والاصول والمنطق ... هى التى تحت على (الاجتهاد) الذى لا يقفل بابه الا فى عصور الركود ، الانحطاط وإنما يخرج فيه الائمة المصلحون بعلوم الدين والدنيا الأعلام ... لا كما يحدث الآن حيث يتوافد طلاب العلم إلى قاعة الدرس ليتلقوا العلم بالسماع عن المحاضر ربما فى شروء ذهن وخلو بال ، ثم قد لا يعودون (لاستذكار) المقروء من المتن الاقبيل الامتحان بأسابيع وأيام وقد افحت من ذاكرتهم تفاصيل الشروح والمناقشات وما يكونون قد دونوه لأنفسهم من نقاط تذكير برعوس موضوعات .

على قوة المتن الدراسى إذن فى عرضه لأصول وتفاصيل المادة العلمية على عقول الدارسين ومداركهم يتوقف انطلاق هؤلاء من الإلمام بها واستيعابها إلى البحث والاستقصاء والاجتهاد من التجديد والاستنباط ، كما على طريقة التدريس التى تجعل الطالب طرفاً مشاركاً فى التحضير لا مجرد مُتلقى قابل يكون الايغال فى الكسب والتحصيل المؤديين إلى الاضافة والابتكار - لا فى العلم الغربى المستفاد فحسب بل فى العلم العربى المكتسب

ذاته . فما دام المؤلف الدراسى العلمى معروضاً بعربية سليمة سهلة الفهم والاستيعاب ، مشفوعاً بإيراد المصطلح الأجنبى فى سياق النص أو ملحقاً به مسرد عربى أجنبى لما ورد فى أثنائه من مصطلحات (كما سبق لنا اقتراح ضرورة أن يُسعف تعريبُ التعليم العالى تدريسُ معجم مصطلحات مادة التخصص الموحد فى بحث العام الماضى لمؤتمر المجمع) ؛ فإن طلاب الدراسات العليا الذين إنما يجيء تفوقهم على أقرانهم ثمرة استظهارهم للنص العربى مقترنا بلغته الأجنبية ؛ يمكنهم مداومة الاطلاع على ما يصدر من بحوث ودراسات أجنبية حديثة تنشر بالمجلات العلمية أو تلقى بالندوات والمؤتمرات الدولية فى التخصص الدقيق ليتابعوا البحث ويلحقوا بالركب وينشروا بنفس المجلات ويلقوا بنفس المؤتمرات الأجنبية ببحوثهم المبتكرة واكتشافاتهم العلمية فى كل فروع العلم ونظرياته وتطبيقاته ... التى أهلت الكشيسرين من نوابغ الأطباء والرياضيين وعلماء الفضاء والذرة والجيولوجيا والفلك والبيئة ... العرب لأن يحتلوا ببحوثهم

المعترف بتفوقها مراكز الصدارة فى أرقى بلاد أوروبا وأمريكا وفى المنظمات الدولية ويتولوا رئاسة الجمعيات والهيئات العلمية العالمية والأمم المتحدة التى تصاغ بياناتها وتقريرها وخطاباتها وإعلاناتها إلى شعوب العالم وحكوماته بكل اللغات الحية المعترف بها صياغة موحدة لاتخطئ ترجمة لفظة واحدة فيساء تفسيرها والعمل بمدلولها فى فهم أهل تلك اللغة كطرف فى منازعات دولية .

٣ - الكتاب الجامعى لا ينهض بالتعليم العالى نُهوَض الكتاب المدرسى بالتعليم العام :

لم يكن انصراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ البدء عن الاضطلاع بمهمة تعريب أمهات الكتب العلمية الأجنبية راجعاً لاستهدافه فى المقام الاول تذليل لغة الكتابة العلمية للمؤلفين والمترجمين وتلبشه إلى حين تنسيق وتوحيد المصطلح العلمى على مستوى الوطن العربى كله ، لا ولا إلى إنشغاله نيفاً وعشرين سنة منذ مرسوم انشائه (١٩٣٢) باستغراق لجان أصول اللغة ، واللهجات ، والألفاظ والأساليب ، والأدب ، وإحياء التراث

... بإعداد وإصدار معاجم اللغة الوسيط والوجيز والكبير ، وألفاظ القرآن الكريم ، ومجموعة القرارات العلمية فى أصول اللغة والألفاظ والأساليب ، ونشر كنوز التراث العربى : عجالة المبتدى وفضالة المنتهى ، والتكملة والذيل والصلة (ستة أجزاء) ، وديوان الأدب للفاربى (أربعة أجزاء) ، وكتاب الافعال (أربعة أجزاء) ، وكتاب الجيم (أربعة أجزاء) ، والتنبيه والإيضاح عما وقع فى الصحاح (جزآن) ، وكتاب الإبدال ، وكتاب الشوارد ... بوصف أن مجمع القاهرة تطور كمجمع لغة لا مجمع تأليف وترجمة - مهما تكن بقية اللجان الخمس والعشرين قد تشكلت به وجدت فى إعداد معاجم المصطلحات العلمية منذ منتصف الخمسينات ... (إبراهيم الترسى ، التراث المجمعى فى خمسين عاما (١٩٣٤ - ١٩٨٤) ... فالراجح من رأى أن مجمع القاهرة لم يواجه مشكلة تعريب المراجع العلمية الأساسية لغرض التدريس الجامعى لأن أساتذة الجامعة المصرية الآباء - فى استقلالها عن

وزارة للتعليم العالى أو للبحث العلمى لم تكونا قد أنشئت وتراوح وجود الواحدة أو الأخرى بعد أن تعددت الجامعات - كانوا يُعربون من تلقاء أنفسهم المواد التى يحاضرون فيها بالسرعة الإملائية للإلقاء ويدونها الطلاب لينطلقوا بها إلى المكتبة للاستزادة والاطلاع فلا يتميز إلا الطالب الذى دعم مذكرات الأستاذ بقراءاته الخاصة فيما أحالهم إليه أو عثروا هم عليه من مراجع أجنبية . وللحق أيضا فإنه حتى عهد قريب لم تكن الجامعات المصرية تعرف ما يسمى المتن أو المقرر - سواء فيما تم تعريبه من محاضرات الأساتذة ونشر فى كتاب وفيما كان لا يزال يدرس باللغة الأجنبية ويعتمد الاستاذ فى تدريسه أحد المؤلفات الأساسية (فى التشريح أو الفيزيولوجيا أو الكيمياء) ففى جميع الأحوال كان لاغنى عن رجوع الطالب إلى مصادر ينهل منها بنفسه ترجمة أو تأليف ذاتيا لتكون له (مذكرته) الخاصة به لإعداد بحث (أعمال السنة) فى المادة (كمال دسوقى ، مقومات تعريب التعليم الجامعى فى مجال العلوم

الإنسانية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية عدد ١٨ ، سبتمبر / أيلول ١٩٨٠ ص ص ٨٩ - ١١٢) .
غير أن هذه التقاليد الراسخة فى تعريب تدريس العلوم الحديثة بالجامعات قد عصفت بها مع الأسف سياسات التعليم منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ والتوسع الكبير فى قبول أعداد الطلاب الذين لا تتسع لاستيعابهم قاعات البحث بل مدرج المحاضرات - فضلا عن أن يستطيع الأستاذ المحاضر التعرف على أسمائهم لمتابعة استفادتهم إن هو استطاع أن يوصل إلى عقولهم واقللام كُنَّاشاتهم صدى مكبرات الصوت فى آذانهم . وحيث لم يعد ممكنا أن يعلق على باب مكتبه قائمة بأسماء مراجع المادة التى سوف يستزيد منها الطلاب أو يطلعوا عليها لإعداد مايكلفهم به من أبحاث (لم تلبث أن استُغنى عنها لعدم إمكان تصحيحها أو جدوى مقابلة الطالب لمناقشته فيها) ، ولما كان الأستاذ يكتشف فى أوراق إجابة الامتحان أخطاء سماع بعض عباراته أو تدوين مصطلحاته رغم محاولة الطلاب استعارة كراسات بعضهم البعض للمراجعة

والتصحيح ؛ فقد نزل الأستاذ على إرادة الطلاب أن تجمع محاضراته فى كتاب يطبعونه على نفقتهم كمذكرات أو يعهد هو به إلى ناشر يوزعه ، فيستريح الاستاذ من بح صوته فى المحاضرة والطلاب من التدوين بسرعة ودون فهم مع الخطأ وترك فراغات قد لا يتم ملؤها من كراسات أى من الزملاء . وبالتدريج أصبح (الكتاب المقرر) كل بُغية الطالب فهو يسعى لاقتنائه بأن ثمن (أو يشترك فيه كملّازم) منذ بدء الدراسة ليُعفيه من الانتظام بالمحاضرات حين لا يجد مقعدا ، وربما لا يطالعه أو يطلع عليه إلا لإثبات (المقروء) منه . الذى ركز عليه الأستاذ فى محاضراته على أنه (سيجئ منه الامتحان) وما هو (مشطوب) أو محذوف لم يتسع وقت الأستاذ لتدريسه فأعفاهم منه . ومع الوقت أيضا أصبح عائد توزيع الكتاب المقرر على آلاف الدارسين على الاستاذ - ربما فى أكثر من كلية أو معهد - مصدر دخل يجزى عنه التأليف والتمحيص والتعديل والتنقيح سنة بعد أخرى ، وحرص الناشر على أن لا يتبقى

من طبعة هذا العام ما لا يمكن توزيعه مع طبعة العام التالى المجددة ، والأستاذ على أن يقتنى طلاب كل دفعة طبعة عامهم الجديد ولو كانوا راسبين فى طبعة (مقرر) العام السابق ... ولقد أضفت الدولة مشروعية حق الأستاذ فى تأليف كتبه الدراسية تعويضا له عن عدم الوفاء برُفع المرتبات والمكافآت إلى الحد الذى يرقى لمستوى المعيشة اللائق والمحافظة على المظهر المرموق ... إلى حد إعفاء الكتب من الضرائب ودعم الكتاب الجامعى بإنشاء مطابع جامعية تهبه حق التأليف وتوزع الكتب على الطلاب بضمن التكلفة مضافا إليها المصاريف الإدارية - حتى لا يلجأ الأساتذة للخروج فى إعارات للخارج أو يعمد مساعدو التدريس لإعطاء الدروس الخصوصية (التى اعترفت بها وزارة التعليم ونظمتها كمجموعات تقوية وتتقاضى عنها ضرائب ... برضى الآباء أنفسهم لعدم استفادة أبنائهم من التعليم المدرسى) . ولما كانت مطابع كل جامعة لاتقوى على إصدار كل كتب أساتذتها - إن هم قنعوا بحق التأليف الرمزي ولم يستمروا فى

الطبع الخارجى ، الأوفر عائدا بكثير ، وضعت قواعد تقدر ثمن بيع الكتاب بقدر عدد الملازم مضروبا فى فئة معينة لكل ملزمة (طبع عربى أو انجليزى) فى حدود عدد ساعات تدريس المادة أسبوعيا ... لكن تكاليف الطباعة واسعار الورق تتزايد عاما بعد آخر ، ويتأخر تسليم (المذكرات) للطلاب إلى قبيل موعد الامتحان ... ولاتنقطع الشكوى من عدم استفادة الطلاب بالدعم أو بتوفير الوقت الكافى للاستذكار . وحتى عند هذا الحد لا يزال (المتن الدراسى) للأستاذ هو الذى يدرس بالفرق الاولى وعضو هيئة التدريس يحاضر للأعداد القليلة بدبلومات الدراسات العليا حتى تنقضى ثلاث سنوات على تعيينه مدرسا ويصبح له حق التأليف باسمه على غرار كتاب أستاذه الذى هو إنما يقوم بالتدريس (من باطنه) ، فحتى مع اقتصار تحصيل الطلاب على كتاب أستاذ الكرسى ولو على يد مساعديه لازال مستوى التحصيل يوفر الحد الأدنى من التكوين العقلى للطالب فى دراسته للحقوق أو المحاسبة أو الإدارة أو الاقتصاد أو

الاحصاء أو طرق البحث ... التى لاتزال تحتاج لتدريبات
عملية أو تطبيقات تكفى للممارسة والاشتغال عقب التخرج .
و حين تتضخم الكثافة الطلابية بالجامعات
المركزية إلى حد الانفجار وتنوء جامعة القاهرة
بمائة وسبعين ألف طالب وعين شمس
فالاكندرية وأسيوط كل منها بمائة وأربعين
ألفا تنشأ عند مطلع السبعينات الجامعات
الإقليمية حتى تصل إلى اثنتى عشرة جامعة
تتبع كل منها الجامعة الاقرب إليها لتمدها
بهيئات التدريس المنتدبة فيما تهبه إياها
المحافظات (المتهافنة على إنشاء جامعتها)
بأبنية مجالس المديريات التعليمية القديمة
ومدارس الزراعة المتوسطة ومستشفى وزارة
الصحة لتكون مستشفى تعليميا إلى حين بناء
مستشفى جامعى ، وتسارع كليات التربية
والتجارة والطب والزراعة ... فالآداب والحقوق
والهندسة ... إلى إلحاق شباب هيئات التدريس
ببعثات داخلية أو إشراف مشترك لتكوين
كوادر الهيئة العلمية الذين سيحملون العبء
مع الأساتذة المنتدبين . غير أنهم ما إن
يصبحوا مدرسين حتى ينسلخوا عن أساتذتهم

ويضيّقوا بتدريس كتبهم التى تعلموا هم عليها
(ولوترك لهم كل ما يعود منها ومكافآت
تدريسها وامتحاناتها) وربما وزعوا من جانبهم
مختصرات أو كراسات قمارين إضافية لحساب
أنفسهم ويحى منها الامتحان لكيلا يكتفى
الطالب بكتاب الأستاذ . ويوم يستطيعون
الاستقلال بالتأليف وهم ما تزودوا إلا بأبحاث
رسائلهم التى حصلوا بها على الماجستير
والدكتوراه فى موضوعات خاصة من دقائق
التخصص ، فهم يأخذون عنها تلخيصات
جزئية لاتعطى كل جوانب العلم ولكنها التى
تحمل أسماء هم كمباحث تغطى ما عمدوا إليه
من اقتطاف فصول باكملها من مؤلفات
أساتذتهم دون إشارة لأصحابها أغلب الأحيان
(حتى لا يرجع الطلاب إليها ويستغنوا عن
الكتاب الذى ألّفوه ويدرسونه) . وحين يقع
صراع على الأحقية فى تدريس مادة (لأحد
أعضاء القسم فيها مذكرة دون الآخرين أو هو
قد سبق له الكسب من توزيعها وعليه أن
يتركها لغيره) تظهر مذكرات مجهلة من
أسماء المؤلفين تحمل خاتم مجلس القسم

مطبوعة على أرخص أنواع ورق الصحف وآلات النسخ ومليئة بالأخطاء المطبعية والإملائية فضلا عن العلمية زاخرة بالحشو والتفاصيل التى تخرج عن الموضوع لتضخيم حجم المذكرة وسعر بيعها وسيعفى الطالب من دراستها بعد شراء الكتاب (الذى ستوزع حصيلة بيعه بما يجاوز كثيراً الأسعار المحددة للدعم على أعضاء القسم العلمى بنسبة درجاتهم العلمية ٣ : ٢ : ١) دون مسؤولية على أحد بالذات عن مستوى التأليف أو طريقة التوزيع أو اعتبار الحق الطالب فى أن يتسلم لقاء ما يدفعه فيه علما نافعا أو مرجعاً يحتفظ به للاستفادة منه لما بعد الامتحان .

ومن المفارقات التى أضرت بأطراف التعليم الجامعى الثلاثة : الكتاب والأستاذ والطالب ، أنه كلما زادت وفرة عدد الأساتذة القائمين بالتدريس والتأليف للأعداد المتزايدة من الطلاب ، زاد تشعب الأقسام العلمية وتفرع التخصصات الدقيقة للعلم العام الذى يتسمى به القسم : كيمياء جغرافيا ، رياضيات .. على نحو يتعين معه أن يتزود كل قسم بهيئة

تدريس كافية لكل تخصص ، وأن تقبل كل شعبة عدد الطلاب الذى يفى بحاجات كل شعبة إلى تغطية تكاليف الإنفاق على تجهيزات العملية التعليمية ومنها توفير الكتب والمراجع والمجلات ، وزيادة عدد ساعات التدريس الأسبوعية بما يحقق ضرورة أن يستوفى عضو هيئة التدريس (نصاب) ٤ ، ٦ ، ٨ ساعات للأستاذ (الذى ارتفع إلى ٨ ، ١٠ ، ١٢) كحد أدنى يمكنه بعده اقتضاء أجر إضافى عن ساعات مكتبية تستدعى حضوره للكلية يومين على الأقل للقاء الطلاب والمشاركة فى الأنشطة الاجتماعية والأعمال الإدارية فتتغلق الأقسام العلمية على نفسها ، وليكون " زيتها فى دقيقتها " تحتفظ لأعضائها بكل ما يؤجر عليه ندبا من أقسام أو كليات أخرى لتدريس اللغات أو الاقتصاد أو الإحصاء أو طرق البحث ... فيدرسها ويؤلف فيها غير مختصين . ولأضرب لذلك مثلاً بما أعرفه ، أكثر من غيره عن قسم الفلسفة بكلية آداب جامعة القاهرة الذى تخرجت فيه منتصف الأربعينات الذى درسنا فيه تاريخ الفلسفة

بكل عصورها (٤ مقررات) والاجتماع (٣ مقررات) وعلم النفس (٣ مقررات) ، فالمنطق (٣ مقررات) والأخلاق والميتافيزيقا وعلم الجمال ... بما لا يزيد على أربع عشرة ساعة أسبوعيا (فكان لدينا كل أسبوع يوم تفرغ كامل وبعض أيام أخرى خلال فترة الدوام من التاسعة إلى الواحدة صباحا لارتياذ المكتبة والاطلاع حتى تقفل أبوابها فى الخامسة مساء) ... غير أنه للرغبة فى أفراد أقسام يرأسها أساتذتها الذين جاهدوا لفصل الدراسات الاجتماعية عن الفلسفة ، فعلم النفس عن الاجتماع ... نشأ قسم الاجتماع فى أواخر الأربعينات بالقاهرة ، واستقل علم النفس عن الفلسفة فى عين شمس وعن قسم الدراسات الاجتماعية بالقاهرة ، وأخيرا استقل قسم الانثروبولوجيا عن الاجتماع بالإسكندرية ، وإمعانا فى استقلال العلوم الاجتماعية التى لا يستغنى الدارسون عن التزود بها جميعاً . حرصت لوائح إنشاء التفرعات الجديدة - توفيراً لسند إثبات وجودها وتقرير قيامها بذاتها - على تفصيل مباحث (الاجتماع)

و (علم النفس) ... إلى بضعة عشر فرعاً لكل منها لا يكاد يزيد مقرر الواحد منها عن أحد فصول العلم العام الذى يتسمى به القسم الناشئ وتتداخل من غير شك معالجة الموضوع الواحد المشترك دراسته فيهما كالاتحاد الصناعى وعلم النفس الصناعى ، الاجتماع التربوى وعلم النفس التربوى ، سيكولوجية وسوسيولوجية الشخصية والثقافة ... (كمال دسوقي ، دينامية الجماعة فى الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى ، الانجلو المصرية ١٩٦٩) - كل ذلك على حساب حرمان طالب كل قسم من دراسة مواد أساسية كالمنطق والفلسفة ومناهج العلوم أو تدريس الإحصاء والتشريعات والصحة النفسية والاجتماعية ... بنذب أساتذة التجارة والحقوق والطب ... ويزداد الأمر تفاقمًا ، وطالب الليسانس أو البكالوريوس فى المرحلة الجامعية الأولى يجلس للامتحان فى بضع عشرة مادة (غير ما يمتحن فيه شفويا) اعتماداً على مذكرات شوهاء فى تأليفها وإخراجها وانتظام بالمحاضرات ٣٤ ساعة لاتفى بها ستة أيام

الأسبوع ست ساعات يومياً ... حين تعمد وزارة التعليم العالي من حين لآخر الى جعل الدراسة والامتحان على فصلين - أملا في صرف الطلاب عن الاشتغال بالسياسة ودفعاً لهم إلى الاهتمام منذ بدء العام بالتفرغ للاستعداد للامتحان الفصلى الذى سيجلسون إليه فيما لايجاوز أحد عشر أسبوعاً فى أحسن ظروف التحصيل واستيعاب المقررات (إن هم تسلموا المذكرات) ... بكل مافى ذلك من تجزئة المواد (المجزأة أصلاً كموضوعات) ، واسبقية توزيع المواد على القائمين بالتدريس بأى من الفصلين بما يلائم ازدحام جداولهم أو فراغهم الكامل ومدى الانتهاء من إعداد مذكراتهم للتوزيع ، وبما فى ذلك من ضياع شهرين كل فصل فى أعمال امتحانات كاملة يستمر تصحيحها مع حلول الفصل الثانى وانتظام التدريس به وقد لاتعلن نتائجها قبل انتصافه أو يتأجل إعلان بعضها أو تسوية حالات الطلاب إلى نهاية العام ... مهما كوفئ الأساتذة بجعل كنترولات الامتحان مستمرة طوال ٥٥٠ يوما ، أو رفعت رواتبهم بنسبة

١٥٠ ٪ ليتفرغوا للتدريس والامتحان ويكتفوا ذاتياً فى كل قسم دون حاجة لتبادل الانتدابات خارجه ... بل إنشاء صناديق أنشطة وخدمات بكل كلية لزيادة دخل الأساتذة ... مما تعج به الصحف يومياً كحث للأساتذة على قبول وتأيد نظام الفصلين وطمأنة الطلاب على أن كل إصلاح لنظام التعليم ودخول الامتحانات فإنما هو لصالحهم وللتيسير عليهم . وبينما فى كلمته أمام المؤتمر الدولى لربط الجامعة بالصناعة (٢٢ مارس ١٩٩٤) يعرب وزير التعليم عن شعوره بالمرارة من اعتماد نظام الدراسة بالجامعات على الكتب والمذكرات الجامعية والابتعاد عن البحث فى المراجع وأمهات الكتب ويصف الوضع القائم بالتدنى لاعتماده على الحفظ والصم والتلقين والتخلف عن اللحاق بركب التطور الجامعى ... فهو يبشر بأن النظام الجديد - نظام " الاحتراف " بالجامعات بدل نظام " الهواة " المتبع حالياً - يقضى بتفرغ أعضاء التدريس للعمل داخل الجامعة فى التدريس والبحث طوال اليوم لتزيد مرتباتهم

فى ظل الاحتراف إلى ثلاثة أضعاف ، عن طريق تدبير مصادر جديدة لتمويل الجامعات بإنشاء مكاتب بالكليات لتسويق الخدمات وتقديم الاستشارات العلمية والفنية للمحتاجين إليها من أصحاب الشركات والمصانع والمستثمرين مقابل أجر يخص لأعضاء التدريس ، وتطبيق الاحتراف على صغار أعضاء التدريس الجدد لتمكينهم من تدبير الامكانات التى تساعدهم على حياة كريمة بدلا من السعى وراء مصادر أخرى ؛ باعتبار أن الاستمرار فى تطبيق نظام الهواة سيؤدى إلى تخلف مصر عن المنافسة العالمية فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد !!!

٤ - المستقبل للتعليم الذاتى المستمر ببرمجيات

الوسائل التعليمية وتكنولوجيا المعلومات :

من هذا يتبين أن صيرورة التعليم العالى بالكليات والمعاهد - فى الإعداد للدرجة الجامعية الأولى بأحد تخصصات الحياة العملية - إلى تحصيل المعرفة النظرية فضلا عن المهارة التطبيقية فى ممارسة المهنة - بالاعتماد على الكتب والمذكرات المؤلفة لغرض التدريس ...

قد هبط بمستوى التخرج فى الكليات والمعاهد بحيث يصح ما يقال أحيانا كثيرة من أن التعليم العالى تحول إلى مدارس ثانوية ومعامل تفريخ - المهم فيها الحصول على شهادة سوف لا تؤهل للاشتغال بالمهنة والنجاح فيها ؛ بل أن التعليم المدرسى الذى تشرف فيه وزارة التعليم يجد على تأليف الكتب المقررة لمختلف المواد وانتظام طرق التدريس ونظام الامتحان على مستوى مدارس القطر كله بما يمكن مكتب تنسيق القبول بالجامعات من أن يوزع بعدالة يرضى عنها الجميع خريجي الشهادة الثانوية على الكليات فى الجامعات والمعاهد المركزية والإقليمية ... هو أكثر فعالية من اعتماد التعليم العالى على الكتب والمؤلفات التى يصدرها كل قسم علمى جامعى (أو أحد أعضائه) بمعزل عن الأقسام المماثلة بالكليات الأخرى ، وبناتج امتحان تتفاوت فى تقييم تحصيل الطلاب بنفس القدر من الموضوعية والعدالة ... الامر الذى كثيراً ما أثار مشاكل تعيين أوائل خريجي كلية ما معيدين فى كلية أخرى ، أو أوائل خريجي

الحقوق أعضاء بالنيابة العامة لقلّة عدد الذين يحصلون على تقدير جيد جداً فى كلية عنه فى أخرى ... وكثيراً ما أثار أيضاً ضرورة توحيد امتحانات الليسانس أو البكالوريوس بالكليات المتناظرة - أو على الأقل تشكيل لجنة بممتحنين لكل مادة بكل قسم علمى على مستوى هذه الكليات يكون من اختصاصها تقريب إن لم يكن توحيد مستويات وضع الأسئلة ومراجعة تصحيح أوراق الإجابة ... وهيئات أن يجدى ذلك كله شيئاً إن لم يصبح عبثاً على مسار العمل الجامعى الذى (اتسع فيه الخرق على الراقع) ، فحتى فى اشتراط الممتحن الخارجى بلجنة الحكم على رسائل الماجستير والدكتوراه ، وفى اختيار مقررى ترقية المدرسين والأساتذة المساعدين باللجان الدائمة المشكلة من المجلس الأعلى للجامعات ، لايجدى تشدد البعض حفاظاً على المستوى برفض الترقية مرة ومرات لمزيد من الإنتاج ، ولا التشجيع على التقدم بعدم تعقيد عضو هيئة التدريس بكراهيته لأساتذته واتهامهم والافتراء عليهم - اقتناعاً من الجميع آخر الأمر بأن هذا هو واقع الحال .

فإن يكن الكتاب الدراسى الجامعى كقوام لعملية التعليم العالى قد ارتد آخر الأمر إلى أن يصبح مشكلة اقتصادية أكثر منه وسيلة تربوية - سواء بالنسبة للطالب الذى لا يقدر على اقتنائه لتكوين مكتبة خاصة يرجع إليها بعد تخرجه إن هو استطاع أن يكتفى به فى دراسته لمواجهة مستقبله ، وللأستاذ فى أقصى حالات تجرده من الاتجار به إزاء ارتفاع تكاليف إخراج الباهظة ، ولصناديق دعم الكتاب وجهات التمويل الأخرى التى تساهم بتخفيف العبء على الأساتذة والطلاب - إلى حد البحث عن مصادر أخرى كالتى رأينا قد تعوض الأستاذ مادياً وإن كانت تبعد به عن التفرغ للعمل التربوى والتعليمى ... فإن فى استفادة التعليم قبل الجامعى بتكنولوجيات التعليم الحديثة إلى جانب الكتاب المدرسى أسوة للتعليم العالى فى اعتماد تكنولوجيا المعلومات وسيلة للتدريس والبحث بأقل عدد من الأساتذة لأكبر عدد من الطلاب ، واستعادة الجامعات مكانتها الأولى بعدول الطلاب عن التلقين والحفظ إلى التعلم الذاتى بالكتب

وأجهزة التعليم المبرمج . فقد أدى تطور الوسائل التعليمية منذ عشرينات هذا القرن إلى تكنولوجيا تربوية بسيطة تركز في المقام الأول على المعينات السمعية البصرية التي زودت بها معامل ومختبرات مناهج وطرق تدريس اللغات والعلوم والرياضيات - من أجهزة تسجيل وسماع أشرطة صوتيات وعرض مصورات أفلام التعليم بالتلفزيون والدائرة المغلقة وشرائح العارضات الأفقية والرأسية ... مما له في معاهد وكليات ومراكز البحوث التربوية ببعض البلاد العربية (استديوهات) إنتاج هذه التكنولوجيا بمعرفة الأساتذة والطلاب . كما أدى تطور " آلات التعليم " منذ ابتكر بريسي (١٩٥٦) جهاز تصحيح الاختبارات الموضوعية التي تحصى فيها الآلة عدد الاجابات الخاطئة في سلسلة (اختيارات من متعدد) تعرض بإطار (شاشة أو نافذة) الجهاز عقب عرض السؤال ليؤشر الطالب بالضغط على أحد الأزرار بما يراه الإجابة الصحيحة ... حتى محاولات عالم النفس الأمريكي اسكنر (١٩٥٤ - ١٩٥٨) تطوير

آلات " التعلم الذاتي " التي تعرض معلومة تلو أخرى بنافذة الآلة ، ليتعلم الدارس الموضوع قطعة قطعة ويُجيب عقب كل قطعة عن السؤال الذي يظهر في الإطار لتُفیده الآلة بصحة الإجابة أو خطئها ، وربما تشرح له سبب خطئه أو تحيله على رقم قطعة (معلومة) سابق ليرجح إليه فيصحح خطأه .

ولقد كان اسكنر نفسه هو أول من قام بتأليف كتاب مبرمج في علم النفس - تطبيقاً لنظرياته في التعلم الذاتي وبرمجة التعليم - فقسم موضوعات فصوله إلى فقرات صغيرة تعرض كل منها على الدارس بما يكفى لقراءتها ، ثم يطلب إليه على الفور تكملة جملة أو ملء فراغ كلمة ناقصة أو تصويب عبارة خاطئة ... والإجابات الصحيحة مدونة مقلوبة بالصفحة المقابلة أو بآخر الكتاب حتى لا يطلع عليها الطالب إلا بعد أن يجيب - سواء بالبرمجة الطولية والبرمجة التفرعية التي إما أن يتقدم فيها الدارس على طول الخط كلما كانت إجاباته صحيحة أو يتوقف لينتحي جانباً ويرجع إلى إطار فرعى سابق لتصحيح

إجابته ثم يلحق بزملائه . فجوهر هذا " التعلم الذاتى " للدارس بالتعليم المبرمج أنه حين يتلقى المردود الفوري على صحة إجابته يتدعم تعلمه بالانتقال من جزء إلى الذى يليه حتى نهاية الموضوع (كمال دسوقي ، التعليم والتعلم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، ط ٣ وكالة الأهرام للتوزيع ١٩٨٩ ص ٢٣٤ - ٢٦٢) ، لقد بهرنى ما يؤدى إليه التعليم المبرمج هكذا من تعلم ذاتى تقسم فيه المادة الدراسية إلى أجزاء تعرض على الدارس لقراءتها والإجابة على سؤال عنها ثم الانتقال إلى التى تليها إذا صحت إجابته (أو الرجوع إلى معلومة سابقة لتصحيح خطئه) فى معرفة فورية بنتائج تقدمه حتى الانتهاء من الدرس ؛ فحاولت برمجة تأليف كتاب لى عن " الاجتماع ودراسة المجتمع " بما أسميته " تكنولوجيا العلوم الاجتماعية " (١٩٧٠) حيث جاء التأليف لكل فصل من فصول المادة الاثنى والعشرين بأشهر عشر كتب تدرس فى الجامعات الأمريكية يعرض الموضوع بتركيز مسلسل لفكرة كل فقرة ، وتبدأ التدريبات

بالإحالة لأرقام صفحات الفصل بكل من المراجع الأجنبية العشرة ، فقائمة مصطلحات إنجليزية على صفحتين أو ثلاثا تورد ترجمة المصطلح بترتيب سياق النص العربى كما لو أن الطالب قد قراه بالإنجليزية ، يلى ذلك ثمانية أنواع تطبيقات العلم على العمل - الذى هو مفهوم التكنولوجيا - وهى : اختبار معلوماتك (بالتأشير على عشر عبارات بعلامة صح أو غلط) ، فمزاوجات (مصطلحات وتعريفات ١٣/١٤ : ١٠) ، ومطابقات ، واختيارات (من متعدد) ، ثم تكملات (فراغات نقط بكلمات) ، أسئلة وقضايا للمناقشة ، مشاكل ومشروعات للبحث ، وأخيراً تجربة معمل (يُدَوّن فيها الطالب بالفراغات المتروكة له خطوات : الغرض من التجربة ، المنهج أو طريقة البحث ، العينة ، الاجراء ، الملاحظات ، النتائج ... والإجابات الصحيحة مدونة بآخر الكتاب بملحق ٣ : مفاتيح التصحيح ، ص ص ٦٨٦ - ٧١٦ .

وليست برمجة الكتاب الدراسى كتكنولوجيا تربوية تُهىء للتعلم الذاتى المستمر غير خطوة متواضعة على طريق

الاستفادة بتكنولوجيا المعلومات التي هي جوهر الثورة الصناعية الثالثة التي استخدمت الطاقة الكامنة في التكوين الذري للمادة (من نواة والكترونات سابحة حولها) في اطلاق ذبذبات عالية السرعة هي عبارة عن نبضات الكترونية (لا تُقارن بها في شئ الذبذبات الميكانيكية الكهربائية أو الموجات الكهرومغناطيسية التي كانت تُشغل بها آلات وأجهزة التعليم حتى ذلك الحين) من خلال تردها في مستحدثات تجهيزات علم وتكنولوجيا المعلومات تعبر عن إشارات تمثل البيانات بطريقة معينة ويمكن التعامل معها إرسالاً واستقبالاً عبر المسافات القريبة والبعيدة معاً بالحاسبات الآلية التي تطورت أجيالها سريعاً في أحجامها ونظم تشغيلها ونقل بياناتها من وحدات إدخال وإخراج المعلومات وفي قدرات تخزين واسترجاع البيانات - من الحاسبات الصغرى (ميني كمبيوتر) التي تحمل في الجيب المرتبطة بمعالج بيانات صغير (ميكرو بروسيسور) إلى (الميكروكمبيوتر) الذي قوامه وحدات تشغيل مركزية من قطعة

أو عدة قطع إلى محطة التشغيل الرئيسية ذات الأداء المرتفع ... التي يمكن المرء بواسطتها أن يحصل على ما يشاء من معلومات من مكتبة الكونجرس بأسر وأسرع من اتصال هاتفى أو مكالمة تليفونية - حيث يقدر الباحثون في مجالات المعرفة والإعلام أن عدد المعلومات المجمعة في مكتبات العالم الكبرى يصل إلى مليون مليار إشارة مرجعية أمكن للحاسبات المركزية الرئيسية اختزانها ويتسير الإمداد بها في الحال لكل من يطلبها عن طريق شبكة الحاسبات الفردية المرتبطة بها وهي تجيب عدة مئات من المتصلين بها في آن واحد على مختلف الأسئلة التي يطلبون إجابات عنها ، وفيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات للبحث والدراسة بالكتب والمؤلفات يقرر الباحثون أن استخدام أشعة الليزر في الحاسبات الالكترونية قد مكّن من تسجيل ما تحتويه مكتبة كاملة تضم عشرين ألف مجلد على صفحة صغيرة من النيكل طولها ٢٥ سم وعرضها ٢٠ سم . وما يبشر أيضاً بإمكان الاستفادة بتكنولوجيا المعلومات في تنمية التعلم الذاتى

المستمر منذ الدراسة الجامعية وطوال الحياة
تطور لغات هذه الحاسبات من اللغات الرمزية
اللازمة لنقل وتسجيل واسترجاع المعلومات
بغير اللفظ الكلامي غير الدقيق أو المحدد
المعنى المتسم بالذاتية فى لغة الإنسان ... إلى
لغات رفيعة المستوى والدلالة تصلح لأى غرض
وأية حاسبة - بحيث توصلت (ثورة) اللوغو
كلغة برمجة تمكن الصغار من استخدام
الكمبيوتر بصورة فعالة مفيدة ومشوقة تلبي
حاجات المتعلمين لتنمية مهاراتهم الذهنية
الابتكارية وترقية خيالهم العلمى الإبداعى .
فبفلسفة عالم النفس الفرنسى (جان بياجيه)
التي تدعو إلى التعليم بالتجريب والاكتشاف
بدل التلقين والحفظ والاستذكار ، ونتائج
دراسات عالم الرياضيات الحائز على جائزة
ماركونى للابتكار (سيمون بابرث) ، أمكن
شركة لوغو لنظم الكمبيوتر بالتعاون مع
الشركة العالمية للبرامج تطوير لغة صخر
الثنائية عربى / إنجليزى كلغة مبرمجة فورية
تجاوبية يسهل ترجمتها ، كما يمكن استخدامها
مع جميع الحاسبات الشخصية ... للأغراض

التعليمية فى البلاد العربية (حتى لايتخلف
أطفالها عن أقرانهم بالبلاد المتقدمة فى التعلم
بالحاسبات وهم يستمتعون بما فى هذه اللغة من
تراكيب هيكلية للوحدات الصغيرة يرسمون بها
الأشكال فى صورة سلحف يطيع أوامر تحريك
الأشكال فور إصدار الأوامر برفع القلم أو إنزاله
والتحرك للأمام أو الخلف أو اليمين أو اليسار
... وما تحفل به من برامج شبحية يلعبون
بتصادمها وتنويع تحركاتها وتعديل مسارها
... وها هو فى أيدي الطلاب حاسوب الترجمة
الالكترونية الدقيقة (عربى / إنجليزى) لأكثر
من ٣٠ ألف كلمة الذى يُحمّل فى الجيب
ويشغل ٧٠ ساعة ببطاريات ليثيوم (المسمى
ترجمان ٢٠٠٠) الذى هو فى نفس الوقت آلة
حاسبة متعددة العمليات الحسابية ، ودليل
تليفونات عربى إنجليزى ... الذى تُنتجه
وتُسوّقه شركتا شارب واتريد بارتنز ... عدا
ما لم نستطع الحصول عليه بعد من حاسبات
الالكترونية ناطقة بالصوت بدلا من الظهور على
الشاشة بالتفتيح أو التقتيم المطلوبين للقراءة
مع وجود صوت موسيقى أثناء التشغيل .

فإذا لم نستطع دخول القرن الحادى والعشرين بإدخال الحاسبات الالكترونية فى النظام التربوى لعدم استطاعة الدارسين الحصول على حاسبة شخصية تيسر لهم الاتصال بمراكز المعلومات من جهة ، ولأن استحداث التعليم بالحاسبات - مهما تكن فائدته فى التدريس لمئات الطلاب فى آن واحد بجامعة الأعداد الكبيرة فضلا عن تيسير التعلم الذاتى للمتعلم كما رأينا - يلزمه من جهة أخرى تدريب المتعلمين على استخدامها للحصول على المعلومات ، ودراسة المعلمين علوم الحاسبات لا ليصبحوا مبرمجى مواد تدريسهم ويكونوا كوادى وطنية تستغنى عن مهندسى البرمجيات الذين صحبوا توريد هذه الآلات ليدربوهم عليها ؛ بل لمجرد تشغيل هذه الآلات عن ثقة واقتناع - بعد ان تفرغ مهندسو البرمجيات المتخصصون فى إنتاج وتسويق صناعة البرامج الجاهزة التى نهضت بها منشآت متخصصة تحولت من تطوير تصنيع الأجهزة المادية لإنتاج البرامج التعليمية وتخزينها بأحدث الطرق وترويجها تجاريا ، وإذا لم نستطع توفير

المراجع والأدلة وكتب المنهجية أو البرمجة التى تعلم الطلاب والمعلمين تراكيب الحاسبات ونظم المعلومات والخوارزميات اللازمة لحل المشاكل وتخطيط وتنفيذ المشروعات - دون خوف من أن صناعة البرمجيات تحتاج لاستثمارات مالية عالية - حيث ثبت أن ٨٠٪ من تكلفتها رواتب وأجور عاملين ، وأن تكلفة استيراد المعدات والتجهيزات التى لا تقاس إلى فوائدها التربوية الجمة يمكن أن يغطيها ما ينفق هياء على دعم الكتب الجامعية التى أفسدت التعليم ... إذا لم نستطع هذا أو ذاك ، ولم ينشأ عندنا الوعى الاجتماعى والاقتصادى الرسمى والشعبى بتكنولوجيا المعلومات وحاجتنا إليها فى التربية اليوم قبل الغد ، فلا أقل من أن نحرض على أن تتولى الجامعات اللغوية العلمية التى أنجزت معاجم مصطلحات العلوم تأليف المتون الدراسية المبرمجة النصوص والتدريبات العملية التطبيقية على النحو الذى عرضنا أمثلة منه فى هذا المقال .

كمال دسوقي

عضو المجمع

اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان * العربية والمُعَرَّبَة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

معروف أن اللغة العربية لغة اشتقاقية تنمو مادتها وتتضاعف عن طريق الاشتقاق ، ومكنتها هذه الظاهرة قديما من استيعاب مصطلحات العقيدة الإسلامية وشريعتها في القرآن الكريم والحديث النبوي ، وأخذت تتسع بها بحيث استوعبت مصطلحات العلوم الإسلامية فقها وغير فقه وعلوم اللغة العربية نحو وغير نحو ، ولم تلبث أن استوعبت علوم الأوائل طبيا وغير طب ، بحيث أصبحت العربية تقود العالم علميا وحضاريا سبعة قرون أو تزيد . وتوضح هذه السعة في اشتقاقاتها موادها اللغوية في المعاجم الكبرى إذ نجد المادة تفتح في معجم مثل لسان العرب وتتوالى بها اشتقاقات الأفعال والأسماء في صحف متعاقبة ، فمادة مثل " علا " تتوالى

اشتقاقاتها في سبع صفحات كبيرة وكل صفحة ثلاثة أعمدة ، بحيث لو طبعت في كتاب من قطع ٧٠٪ لشغلت منه نحو عشرين صفحة ، وتشغل اشتقاقات مادة " رأى " في اللسان ثمانى صفحات ، أما مادة عَرَضَ واشتقاقاتها فتشغل فيه ثلاث عشرة صفحة بل تزيد ، أى أنها لو طبعت مستقلة لشغلت كتيبًا صغيرا في نحو خمسين صفحة .

وتنبه ابن جنى إلى جمع مواد معجمية في معنى واحد عن طريق ما سماه الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شئ من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل

* ألقى البحث في الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

الاشتقاقيون ذلك فى التركيب الواحد " .
ويطبق ذلك على مادة " كلم " وتقاليبها :
كمل ، ومكل ، وملك ، ولكم ، ولك ؛ فإن
تقاليبها الستة تدل على معنى واحد هو القوة
والشدة ، كما يطبق ذلك على مادة " قول "
وتقاليبها : قلو ، ووقل ، وولق ، ولقو ، ولوق ،
فإن هذه التقاليب الستة تدل على معنى واحد
هو الإسراع والخفة . وطبق ابن جنى ذلك على
كلمات أخرى دالا بها على سعة الاشتقاق فى
العربية ، إذ لا تقف عند الاشتقاق الأصغر
المألوف لنا فى كتب النحو ، وهو أخذ كلمة من
كلمة مع تناسب فى المعنى واللفظ وترتيب
حروفه ، وعرض لصور كثيرة تدل على سعة
هذا الاشتقاق بدوره إذ تشتقه العربية فى
الأفعال من الحروف مثل لولا ولا وسوف ،
فيقال : سألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى :
لولا متعللا ، وسألتك حاجة فلاليت لى أى
قلت لى : لا ، وقالوا سوفت الرجل أى أخرته
ومطلته ؛ من سوف التى تخصص المضارع للاستقبال .
ويذكر ابن جنى من ذلك أيضا حرف الجواب
" نعم " إذ اشتقوا منه " نَعَمْتُ الرجل أى قلت له نعم

" ويردُّ كلمات النُّعْمَة والنُّعْمَة والنَّعِيم والتنعيم
ونعمت به بالاء وتنعم القوم والنعمى والنعماء
وأنعمت به ، كل ذلك يردُّه إلى معنى نعم
وأنها تسر النفس . وكتب الأسلاف كتباً كثيرة
عن الاشتقاق ذكرها المرحوم الأستاذ عبد الله
أمين فى كتابه الرائع عن الاشتقاق ، وقد خص
الاشتقاق فيه من أسماء الأعيان بنحو مائة
صفحة انتفعت بها فى هذه الكلمة القصيرة .
وكلنا نعرف أن العربية ثرية ثراء واسعا فى
الأفعال ومشتقاتها وأن الجذر فى الماضى
الثلاثى وهو صيغة فعل تشتق منه ثلاثة أفعال
بزيادة حرف ، هى : أفعَل - فعَّل - فاعَل ،
 وخمسة أفعال بزيادة حرفين هى : افتعل -
تفعَّل - تفاعل - انْفَعَلَ - افْعَلَّ ، وثلاثة
أفعال بزيادة ثلاثة أحرف هى استفعل -
افْعَوْعَلَ - افعَلَّ .
وللماضى الرباعى جذر هو : فَعَّلَل ، ويشق
منه فعل بزيادة حرف هو : تَفَعَّلَل ، وفعْلَلان
بزيادة حرفين هما : افْعَلَّلَّ - افْعَنْكَل .
ويستقصى النحاة فى كل صيغة من هذه الصيغ
معانيها واستعمالاتها .

ويشتق من صيغ الفعل : اسم الفاعل وله صيغتان قياسيتان ، وأسماء المبالغة ولها ثلاث صيغ قياسية واسم المفعول: وله صيغتان، والصفة المشبهة وأكثر صيغها سماعية ، واسم التفضيل وله صيغة واحدة هي أفعل ، وفعل التعجب وله صيغتان : ما أفعله -أفعلُ به ، واسم الآلة وله خمس صيغ قياسية هي : - مِفْعَل - مِفْعَلَة - مِفْعَال - فاعلة - فَعَّالَة . وهذه الصيغ بدورها هي ومعانيها واستعمالاتها مفصلة في كتب النحو واللغة .

وكل ذلك كتبته مقدمة للنظر في اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان ، أو بعبارة أخرى من الأسماء الجامدة العربية والمعرية ، ورجعت إلى قرار للمجمع في اشتقاق الأفعال من الاسم الجامد المعرب فوجدته على الصورة التالية :

في الاسم الجامد المعرب :

يشتق الفعل من الاسم الجامد المعرب الثلاثي على وزن " فَعْل " بالتشديد . متعديا ولازمه " تَفَعَّل " .

يشتق الفعل من الاسم الجامد المعرب غير الثلاثي على وزن " فَعَّلَ " ولازمه " تَفَعَّلَ " .

وفي جميع المشتقات يقتصر على الحاجة العلمية ، ويعرض ما يوضع منه على المجمع للنظر فيه ، بذلك تكون الأفعال التي أجاز المجمع اشتقاقها من الأسماء الجامدة المعربة أربعة ، هي فَعَّل - تَفَعَّل - فَعَّلَل - تَفَعَّلَل . ورأيت أن أعرض صيغة الماضي الثلاثي على طائفة من أسماء الأعيان العربية والمعرية قديما ، وبدأت برأس الإنسان ووجهه ، فاتضح لي اشتقاق الماضي الثلاثي منهما على هذا النمط :

الرأس : منه رأسه : أصاب رأسه - ورأس القوم يرأسهم رئاسة .

الشَّعر : منه : شَعَرَ : طال شعره - شَعَرَ الشَّيْءَ : بطنه بالشعر .

الوجه : منه : جَاه فلانا يجوهه : استقبله - تجه إليه : اتجه - وجه : صار ذا قدر .

الجهة : منها : جبهه : رده عن حاجته - جبهه : واجهه .

العين : منها : عين : اتسعت عينه - عانه : حسده .

الأنف : منه : أنف : وجعه أنفه - وأنف الشَّيْءَ : تنزه عنه .

الفم : منه : فاه بالقول : نطق به - فوه :
اتسع فمه ومنه الأفوه : الفصيح .
السن : منه : سننته : عضضته .
الخيشوم : منه خَشِمَ : مرض خيشومه
ويسمى المرض خُشاما والمريض أخشم .
الأذن : منه : أذنه : آلم أذنه - أذن الأذان :
نادى به .
وبقية أعضاء الإنسان على هذا النحو
تشتق منها أفعال ماضية ثلاثية وأتركها إلى
اشتقاق الماضى الثلاثى من أسماء الحيوانات
الوحشية والمستأنسة والطيور والحشرات المجنحة :
الأسد : اشتق العرب منه أسد : تجرأ مثل
الأسد .
الذئب : اشتقوا منه ذئب الرجل وذؤب :
صار كالذئب خبثا .
النمر : منه : نمر الرجل : ساء خلقه كالنمر .
الإبل : منها : أبليت الإبل بالمكان :
أقامت - أبل الرجل : أحسن رعاية إبله
وكثرت .
الثور : منه : ثار ثورا وثورانا : هاج .
الفرس : منه : فرس فراسة وفروسة
وفروسية : حذق ركوب الخيل - الفارس :
الماهر فى ركوبها .
الغنم : منه : غنم الشيء حربا أو سلما :
فاز به . والمغنم والغنيمة : ما يؤخذ فى الحرب
قهرا .
الكلب : منه : كلب : ضوى - كلب :
أصابه داء الكلب - كلب شخصا : عضه .
النسر : منه نسر اللحم : قطعه - النسيرة :
القطعة من اللحم المنسر : منقاره .
القطا (شبه اليمام) منه : قطا : صوت -
وقطا : ثقل مشيه ، واقطوطت القطاة : صاحت .
البازى (من الصقور) منه : بزا يبزو :
غلب وقهر ويطش .
النحل (عسل النحل) منه : نحله مالا :
أعطاه - نحله شعرا : أضافه إليه ومنه النحل
والنحلة : الهبة .
وأسماء أعيان كثيرة رباعية وخماسية
وسداسية ردها العرب إلى ثلاثة أحرف واشتقوا
منها الماضى الثلاثى ، نذكر منها :
العقاب (من الجوارح) : عقب صيده :
تتبعه .

أقحوان : زهر أبيض أو أصفر ورقه مسنن .	الطحال : منه : طحل : عظم طحاله أو مرض به .
منه قحا الدواء جعل فيه الأقحوان فهو مقحو	الحصان : منه : حصن المكان فهو حصين ،
بحذف الهمزة والألف والنون .	ويقال خيل العرب حصونها .
البرج : الحصن وواحد من بروج الفلك ،	الجراد : منه : جردت الجراد النبات : أكلته .
ومنه برج الشيء أو البناء : ارتفع .	الهرأوة : منها : هراه بالعصا يهويه : ضربه
البلاط : ومنه بلط الأرض : فرشها بالبلاط .	ضربا مؤلما .
الديباج : قماش حريرى . ومنه دبج المطر	الناصية : منها : نصاه : قبض على
النبات : لونه ألوانا - دبج الشيء : نقشه وزينه	ناصيته .
بحذف الياء والألف .	الحصباء : منها : حصبه بالحصباء رماه
البريد : فرسخان وتسمى به الرسل على	بالحصى .
الدواب . ومنه برد بريدا أى أرسل رسولا .	الدقعاء (التراب) : ومنه : دقع الرجل
الزبور : كتاب داود والمكتوب مطلقا ،	لصق به - دقع : افتقر .
ومنه زبر الكتاب : كتبه وزيره : قرأه .	النافقاء (حجر اليربوع) : يقال نفق
الصنج : آلة موسيقية ، ومنه صنج ضرب بالصنج .	اليربوع : دخل فى نافقائه أى حجره .
القسيس : ومنه قس : صار قسيسا بحذف	وبجانب اشتقاق الأفعال الماضية الثلاثية
الياء وإحدى السينين .	من أسماء أعيان ثلاثية وغير ثلاثية نذكر
لجام الفرس : منه لجمه : وضع اللجام فى فمه .	اشتقاقها من أسماء أعيان أعجمية ، وبعبارة
المنجنيق : من آلات الحرب القديمة كانت	أخرى من أسماء جامدة معرّبة ونكتفى بما يلى :
تقذف بحجارتها الأسوار ، ومنه جنق : رمى	إبزيم : وهو "عروة معدنية" بأحد طرفيها لسان
بحجارة المنجنيق الثقيلة بحذف الميم والنون	يشد به حزام ، ومنه بزم على الأمر : عض
الأولى والياء .	عليه بأسنانه .

الناقوس : مضراب النصارى للصلاة ، ومنه
نقس الناقوس: صوت - نقس شخص
الناقوس: قرعه .

وواضح مما ذكرت أن الماضى الثلاثى كان
يشترك بكثرة لازما ومتعديا من أسماء الأعيان
أو الأسماء الجامدة العربية والمعربة وفى رأى
أن صيغة الماضى أفعل بزيادة الهمزة فى أولها
لاتقل عن صيغة فعل صلاحية لاشتقاقها من
أسماء الأعيان أو الأسماء الجامدة العربية
لدلالاتها كثيرا على الصيرورة ، وأذكر من ذلك
الاشتقاق التالى :

الزهر : أزهر النبات صار مزهرا أو ذا زهر .
الثمر : أثمرت الشجرة صارت ذات ثمر
أو مثمرة .

العشب : أعشبت الأرض صارت معشبة .
ثلاثة : أثلت صاحبيه صار ثالثهم .

الذئب : أذأبت الأرض : صارت ذات ذئاب .

القمر : أقمر الهلال : صار قمرا .

الورق : أورق الشجر : صار مورقا .

أبرق السحاب : صار ذا برق .

أرعد السحاب : صار ذا رعد .

أصبح الرجل : صار فى الصباح .
أمسى الرجل : صار فى المساء .
أضحى الرجل : صار فى وقت الضحى .
أسحر الرجل : صار فى وقت السحر .
الدلو : أدلى الدلو : صيرها متدلية فى
البئر .

السنبلة : أسبل القمح : صار ذا سبل أو
مسبلا .

الرطب : أرطبت النخلة : صار بلحها رطبا .

الظلمة : أظلم الليل : صار مظلما .

أتهم : صار فى تهامة على ساحل البحر
الأحمر .

أنجد : صار فى نجد داخل الجزيرة العربية .

الأفعوان : أفعى الرجل صار ذا شر مثل

الأفعوان ، وردت الكلمة إلى أربعة أحرف

ومثل ذلك فى صيغة أفعل كثير . ونراها

تشتق أيضا من الاسم الجامد المعرب مثل :

الأقحوان : يقال أقحت الأرض مثل قحها

السالفة : إذا أنبتت الاقحوان .

البريد : يقال أبرد رسالة أى أرسلها مثل

برد .

البلاط : يقال أبلط الأرض بالبلاط مثل بلطها .	الناقة فى الهوان .
القفلى : يقال أقفل الباب إذا صار مقفلا .	الأنس : منه : استأنس الفيل : صار أنيسا .
اللجام : يقال ألجم الفرس أى صيرها ملجمة مثل لجمها .	البحر : منه : استبحر فى العلم : صار بحرا فيه .
ولعل فى ذلك ما يكفى لاشتراك صيغة	البصيرة : منها : استبصر فى الأمر : صار ذا بصيرة فيه .
أفعل مع الصيغ المجمعية فى الاشتقاق من	الجدة : منها : استجد الشيء : صار جديدا .
الأسماء الجامدة المعربة . وما يأتى على	الجمع : منه : استجمع الماء من كل صوب : صار مجتمعا .
شاكلتها من الأفعال متضمنا معنى الصيرورة	الروض : منه : استروضت الأرض : صارت روضا .
صيغة استفعل ، ومن أمثلتها :	السر : منه : استسر الأمر : صار سرا خافيا .
الأسد : ومنه : استأسد مثل الأسد فى	الكبر : منه : استكبر : صار متكبرا .
الجرأة .	العصيان : منه : استعصى : صار عاصيا .
العرب : ومنه : استعرب : دخل فى العرب	العظمة : منها : استعظم : صار متعظما .
وعد نفسه منهم .	العلو : منه : استعلى : صار عاليا .
الغلة : ومنها : استغل عبل الشخص :	الغلظ : منه : استغلظ النبات : صار غليظا .
صير غلته وكده لنفسه .	الكلاء : منه : استكلأت الأرض : صارت كلأ وعشبا .
الهدف : ومنه : استهدف الشيء : جعله	المجد : منه : استجد : صار ماجدا .
هدفا له .	
الفيل : ومنه : استفيل الجمل : صار مثل	
الفيل فى الضخامة .	
الناقة : ومنها : استنوق الجمل : صار مثل	

ووراء هذه الأمثلة فى المعاجم أمثلة كثيرة
لاشتقاق صيغة استفعل التى بمعنى الصيرورة
من الأسماء الجامدة فى العربية مما يؤذن
باستخدامها مثل الماضى الثلاثى والمزيد بهمزة
فى الاشتقاق من الأسماء الجامدة والعربية .
واستخدام هذه الأفعال الثلاثة فى الاشتقاق من
تلك الأسماء يتيح شيئاً من السعة فى تعريب
المصطلحات الأجنبية ، وهى سعة يتطلبها -
فى رأى - تكاثر تلك المصطلحات العلمية
المجمعية العربية فى السنوات الأخيرة ، والمأمول
أن تستكمل تعريبها بما يهيأ لها من الرسوخ
فى الأفعال والأسماء المشتقة المتفرعة عنها فى
العربية .

شوقى ضيف

نائب رئيس المجمع

